

روايات مصرية للجيب
23
فانتازيا
أرض .. قمر .. أرض

مقدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن)

إنها لا تملك شيئًا من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأىّ مقياس ، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسيًا محترمًا ..

إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها .. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر الثرى الوسيم ـ والأهم من هذا ـ العبقرى .. وكان (شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جدًا ولا تملك أىّ ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثيرًا جدًا .. ولأن عقلها مزدحم

بأبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامة صالحة لخلق مئات القصص المثيرة ..

(عبير) سترى القصص التى عشقتها .. ولكن مع تحوير بسيط : إنها ستكون جزءًا متفاعلاً فى كل قصة ! ستطير مع (سوبر مان) وتتسلق الأشجار مع (طرزان) .. وتغوص فى أعماق المحيط مع كابتن (نيمو) ..

وتزوج (شريف) (عبير) .. ربما لأنه أحبها حقًا .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه معه للأبد .. ونعرف أن (عبير) حامل ..

وتواصل (عبير) رحلاتها الشائقة إلى (فانتازيا) .. ترى الكثير وتعرف الكثير .. وفى كل مرة ينتظرها (المرشد) ليقودها إلى حكاية جديدة ..

إن (عبير) تنتمى إلى (فانتازيا) .. أرض الخيال التى صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

(فانتازيا) هى المهرب من براثن الواقع .. وكل الوجوه التى لا تتغيّر ..

(فانتازيا) هى الحلم الذى صاغته عبقرية الأدباء

على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءًا منه .. لكن هذا فى مقدورنا الآن ..

لسوف نرحل جميعًا مع (عبير) إلى (فانتازيا) .. نضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى هناك ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات يدوى .. إذن فلنسرع !

* * *

١ - الفرار .. الفرار ..

فرغ (جول فيرن) من حساباته ، فوضع الريشة فى مكانها وقال :

- « لا يهمنى ما يقوله (هربرت جورج) .. إن العلم فى كتاباته ردىء كما هو دائمًا ، ولن يستطيع الوصول إلى أى مكان .. إن أول إنسان يضع قدمه على القمر سيكون فرنسيًا .. »

* * *

فى ذلك الصباح بالذات لم تكن (عبير) رائقة المزاج ..

الحقيقة أنه من العسير نوعًا أن تكون الزوجة رائقة المزاج ، وقد وجدت ذلك الخطاب فى جيب سترة زوجها ..

فى المساء كان (شريف) قد عاد منهكًا من عملـه .. إنـه يصمم نظام كمبيوتر لإحدى الشركات الاستثمارية ، وهذا يجعله يعمل نحو أربع عشرة ساعة يوميًا .. وكان يعود لها وقد تحول إلى دائرة متكاملة حية ، أو موصل مؤكسد من الموصلات التى تسمعه يتكلم عنها أحيانًا .. كلامه أرقام (واحد) وأصفار .. ولحظات صمته تطول كلحظات الانهيار التى تحدث مع الحاسب الآلى أحيانًا ، فلا يبقى حلّ سوى إطفاء الجهاز .. تركه ينام ..

هكذا نام مفتوح الفم يوشك أن يغوص فى حشية الفراش .. نظرت بشفقة إلى وجهه الوسيم الطفولى ، ثم اتجهت إلى سترته المعلقة على المشجب ، كى تعلقها فى خزانة الثياب ، ثم تفعل ما تفعله أية زوجة تحترم نفسها : تفتش الجيوب بحثًا عن شىء ما ..

وكان هذا الـ (شىء ما) ينتظرها بالفعل ..

هذا خطاب مطوى له رائحة عطرة ، وقد كتب على ورق (أنثوى) يذكرها ملمسه بالدانتيلا ..

هنا يجب أن ننصف (عبير) .. إنها بشر قبل كل شىء ، ولم تزعم أن لها أخلاق القديسين .. ولهذا نجد أن من يطالبها بعدم فتح هذا الخطاب ، إنما يطالبها بما يفوق قدرات زوجة بشرية من الطبقة المتوسطة ..

دخلت إلى غرفة الحاسب الآلى حيث تتناثر الاجهزة وقطع الأجهزة ، وكلها أشياء هامشية جدًا إذا قورنت بـ (دى ـ جى ـ ٣) الذى يحتل ركنًا خاصًا ، وحوله مهابة وله ثقل لا يستهان بهما ..

جلست أمام الجهاز ، وأخذت شهيقًا عميقًا ..

بالتأكيد يحوى الخطاب كارثة .. هى تعرف هذا وتدركه .. كانت أمسية بهيجة ، وكانت الطفلة تلهو فى مرح ، وكان برنامج التليفزيون ممتعًا ، وكان العشاء لذيذًا ، وكان (شريف) وسيمًا .. و .. باختصار كان كل شىء ينبئ بكارثة تفسد هذا كله .. إن (عبير) زوجة مصرية تعتقد أن الكثير من المرح هو نذير أكيد بحدوث كارثة ، ولهذا تقول كلما ضحكت : « اللهم اجعله خيرًا .. » .. كأن السعادة إثم يجب أن تدفع ثمنه بالدم والدموع ..

بالتأكيد يحوى الخطاب مصيبة ، ولهذا ترتجف يداها ويخفق قلبها ، ولهذا لا تجرؤ على خطوة بسيطة كفتح هذه الورقة المطوية ..

وسألها (شريف) فى ضيق :

ـ « ماذا ؟ هل ستجربين هذا ثانية فى هذا الوقت ؟ »

قالت :

ـ « لم لا ؟ .. إننى لم أفعل منذ فترة .. »

ثم أدركت ما هنالك .. (شريف) يقف على باب الحجرة ويكلمها !

★ ★ ★

يا لشرود الذهن البشرى !

كانت غارقة فى أفكارها السوداء ، حتى إنها لم تر (شريف) حين جاء إلى باب الحجرة ، ووقف .. وحتى حين تكلّم لم تستوعب حقيقة أنه هو إلا الآن ..

متى استيقظ وكيف ؟

كل ما استطاعت عمله هو أن دسّت الورقة فى جيب منامتها ـ وهى تشبه منامات الرجال لحسن الحظ ـ وسألته فى هلع :

ـ « ما الذى أيقظك ؟ »

ـ « الذى يوقظ الناس جميعًا .. كابوس .. مثانة ملأى .. ظمأ حارق .. »

وحكَّ بطنه من فوق المنامة ، وأضاف متثائبًا :

ـ « هيا .. دعك من هذا الهراء .. لقد أوشك افتتانك بهذا الجهاز إلى أن يكون عشقًا مبرحًا .. »

كان على وجهها تعبير تمثيلى يقول بوضوح : أنا لم آخذ خطابًا من جيب سترتك . وبدت لها فكرة النوم الآن دون أن تقرأ الخطاب لا تطاق .. الموت أهون وأبسط ..

قالت له فى غيظ :

ـ « أريد رحلة جديدة إلى (فانتازيا) .. »

ـ « وأنا أريد منك أن تتعقلى .. »

ثم ـ كأنما بلمسة من عصا الحظ ـ حكَّ شعره وقال :

ـ « سأذهب لأشرب .. لا أذكر ما أعددت لنا للعشاء لكنه بركان انفجر فى جوفى .. »

واستدار مبتعدًا ..

وكان هذا هو الوقت المناسب بالضبط ، لتخرج الخطاب من جيبها .. صاحت به آملةً فى تأخيره قليلاً :

ـ « هناك بعض المياه الغازية كذلك فى باب الثلاجة .. »

وبأنامل باردة كالثلج فضت الخطاب ..

★ ★ ★

« عزيزى شريف :

« لم أستطع النوم البارحة من فرط التفكير فى كل ما قلته لى .. أعرف أن روحينا متقاربتان مدّ زمن سحيق .. ربما كنا نفس الذرة يومًا ما عندما خلق الكون .. أعرف أن لنا نفس العالم ونفس الاهتمامات ونفس المهنة ؛ لكنى ما زلت حيرى عاجزة عن اتخاذ قرار ..

« أعرف أنك صادق .. أعرف أنك مرتبط بلا أمل بزوجة ليست من طبقتك ، ولا تشاركك ثقافتك ولا اهتماماتك .. أعرف أن النوبة القلبية الأخيرة كان لها ارتباط قوى بمشكلتك هذه ، والصراع النفسى بين ما تريده وما لا تريده .. أنا أو تدمير حياتها ..

« أعرف هذا كله وأجدنى حائرة مثلك .. نحن متحابان ومن العسير أن نقضى حياتين منفصلتين بعدما وجد أحدنا الآخر (وقد حسب كل منا أن هذا مستحيل) ..

« لكن دون هذا ـ كما يبدو لى ـ غابات متشابكة ومستنقعات ونيران وحفر تنتظر فيها التنانين !

« أحيانًا أحلم بالفرار من كل شىء ، والهروب إلى بحر العواصف على القمر .. لعل هناك من يفهم ويقدر ..

رانية »

★ ★ ★

وبأنامل باردة أعادت طىّ الخطاب ، ودسته فى جيبها ..

توجد أشياء كثيرة .. أشياء ستفكر فيها فيما بعد كلها .. ستخرج من كل كلمة خنجرًا وتولجه ببطء فى قلبها .. لكن ليس الآن ..

« طبقتك » .. « ثقافتك » .. « نحن روحان » .. « نوبة قلبية » .. « كل ما قلته لى » .. نعم .. ستسترجع الكلمات كلمة كلمة ، ولديها نصيب هائل من الأحزان والصدمات تتلذذ به وحدها .. لكن ليس الآن .. ليس الآن ..

إن (شريف) قد عاد من رحلته الميمونة إلى الثلاجة ..

إنه يميل عليها ويقول أشياء ، لكنها لا تفهم حرفًا ..

إنها لا تجرؤ على النظر إلى الوراء حيث وجهه ..

فقط تقول وهى تبدأ تشغيل الجهاز :

- « أريد أن أهرب يا (شريف) .. خذنى إلى (فانتازيا) .. »

- « ولكن .. »

- « الآن ! »

لهجتها الآمرة جعلته يضع الأقطاب على رأسها ، وفى غباء يسألها :

- « إلى أين ؟ »

فى شىء من السخرية قالت وهى ترمق الشاشة :

- « إلى بحر العواصف على القمر .. لعل هناك من يفهم .. »

ويقدّر ..

* * *

٢ - عزيزى جول فيرن ..

الآن نفهم لماذا كانت منحرفة المزاج فى ذلك الصباح البهيج ، وهى تمشى فى شوارع (بالتيمور) .. إن (فانتازيا) تعنى الفرار .. الكثير منه فى الواقع ، لكنها ظلت محتفظة ببعض ندوب الواقع فى أعماقها ..

وقررت أن تنسى كل شىء ، وأن تندمج فى هذه القصة حتى النخاع ..

لسوف تلعب (فانتازيا) دور قرص (الفاليوم) المهدئ الذى يأخذه مريض (النوراستانيا) كى ينام ..

كانت تعرف أنها صحفية أمريكية ، وكانت تعرف أنها متجهة إلى نادى السلاح فى (بالتيمور) لتكتب عن قصة بالغة الإثارة ..

كانت تعرف أيضًا أن هذا هو العام ١٨٦٤ .. كلها تفاصيل أبلغها بها (المرشد) وهو يداعب قلمه السمج كالعادة ، ومن ثم كان عليها البدء بمفردها ..

كان نادى السلاح ـ كما أخبرها (المرشد) ـ يضمّ نخبة كبيرة من كبار مصممى السلاح ومهندسيه ، أولئك الذين قدموا خير ما عندهم فى الحرب الأهلية الأمريكية ، ثم انتهت الحرب ، ومعها لم يعد لديهم عمل ما ..

إن هدف الحرب الأسمى هو أن يجد صناع السلاح عملاً ، وما كانت لتدرك هذه الحقيقة قبل أن تعرف نادى السلاح ..

هناك كان المهندسون والمقاتلون الذين فقد أكثرهم أطرافه ، يجلسون ليلعبوا الورق ويدخنوا ، ويتذكروا الأيام الخوالى ـ أيام المجد ـ

حين كانوا هم السادة ، وحين كان الناس يحبون السلاح الجيد ، ويستمتعون بالقتل باعتباره فنًا راقيًا ..

اليوم لم يعد أحد بحاجة إلى خدماتهم ، ولم يعد أمامهم سوى التدخين ولعب الورق .. والمزيد من التدخين ولعب الورق ..

دخلت (عبير) إلى القاعة الكبرى للنادى ، حيث كان هناك زحام شديد .. مئات السادة مبتورى الأذرع أو السيقان أو العور يقفون ويتزاحمون .. إنه اجتماع غير عادى ..

يبدو أن هناك إعلانًا خارقًا للعادة سيُذاع من هنا الآن ..

وجدت لنفسها مكانًا فى المقدمة .. وفى هذا الزمن الطيب كان الرجال ـ حتى من فقدوا أرجلهم ـ يتركون مقاعدهم للنساء ، وقد نهض

جنرال عجوز مبتور الساقين ودعاها فى حماس كى تجلس .. ثم راح يتواثب على عكازيه بحثًا عن مكان آخر ..

مرت دقائق عشر ، ثم ظهر رئيس النادى (باربيكان) ، وهو يحتفظ بأطرافه كلها إلا أنه رجل صموت بالغ الطول والنحافة ..

ساد الصمت .. فأخرجت مفكرة من جيبها ، ووجدت فى حقيبتها قلمًا من الرصاص .. لا بأس .. ستلعب دور الصحفية إلى النهاية ، وفيما بعد ستحاول فهم ما يحدث بالضبط ..

قال رئيس النادى بصوت جهورى :

ـ « يا سادة .. أرجو أولاً أن تحيوا .. »

وأشار فى حركة مسرحية إلى رجل ملتح أشيب قصير القامة ، يقف بجواره وصاح :



وأشار فى حركة مسرحية إلى رجل ملتح أشيب قصير القامة ، يقف بجواره ...

- « المسيو (جول فيرن) ! »

دوّت عاصفة من التصفيق ، أما (عبير) فانحنت إلى الأمام ودست القلم بين شفتيها مفكرة .. (جول فيرن) شخصية حقيقية ، بينما نادى السلاح هو جزء من قصة كتبها .. هذا هو لقاء المؤلف وشخصياته .. الصانع والمصنوع .. الكاتب والمكتوب .. إنه مشهد مألوف فى (فانتازيا) منذ قابل (شكسبير) أبطاله فى مسرح (جلوب) ، وجلس (مارك توين) مع (توم) على حافة النهر ..

انتهت عاصفة التصفيق أخيرًا بينما (جول فيرن) يردّ عليها بالانحناء مرارًا .. وفى النهاية اتخذ مكانه خلف المنصة ، وقال :

- « أشكركم وأشكر الرئيس (باربيكان) على هذه الدعوة .. »

كان يتكلم بالإنجليزية ، لكنها إنجليزية فرنسية الطابع مليئة بالأخطاء فى القواعد والنطق واختيار الألفاظ ..

لكنه عبقرى ! لا يوجد فى الكون إلا حفنة من الرافضين لهذا الرأى ، وبالتأكيد لم تكن (عبير) منهم ..

* * *

هنا نتوقف قليلاً لنعرف شيئًا أو اثنين عن (جول فيرن) ..

(ميشيل ستروجوف) يركض فى مهمته الخطرة ليوصل رسالة القيصر .. (ميشيل آردان) ورفاقه يدخلون فوهة المدفع للوصول إلى القمر .. كابتن (نيمو) يأمر بحارته بالغوص بغواصة (نوتيلوس) إلى عمق عشرين ألف فرسخ تحت البحر .. (أكسل)

وعمه المجنون يحاولان الوصول إلى مركز الأرض عبر فوهة بركان .. الكابتن (هاتيرا) يصنع عدسة من الثلج يشعل بها نارًا .. (فلياس فوج) يحاول الدوران حول الأرض فى ثمانين يومًا وإلا فقد ثروتة ..

كل هذه العوالم الساحرة لم توجد قبل أن يوجدها هذا الأديب الفرنسى العظيم .. لكنها اليوم صارت حقائق ملموسة فى ذهن قراء الخيال العلمى فى كل صوب ، ومن الجدير بالذكر هنا أن أكثر خيالات قصصه تحققت وبصورة مذهلة ؛ حتى إن لمسة ساحرة من التنبؤ تغلف رواياتة كلها .. لقد كتب عن الغواصة قبل اختراعها ، ووصف رحلات الفضاء قبل حدوثها بقرن كامل ، ووصف الطائرة بدقة مذهلة ..

ربما كان العثور على معلومات عنه سهلاً ، لكننا نذكر هنا على سبيل التوثيق أنه ولد فى مدينة (نانت) عام ١٨٢٨ ، وبدأ دراسة القانون فى شبابه لكنه لم يمارسه قط ، واتجه إلى (باريس) حيث كتب بضع مسرحيات متوسطة النجاح ..

وعام ١٨٦٢ نشر رواية (خمسة أسابيع فى منطاد) التى نجحت بشكل غير مسبوق ، كفل له عيشًا رغدًا ، وصار اسمه شهيرًا لدى القراء .. وهكذا بدأت رواياته ذات العناوين المرموقة تتوالى : (رحلة إلى جوف الأرض) .. (من الأرض إلى القمر) .. (٢٠ ألف فرسخ تحت الماء) .. (الشعاع الأخضر) .. إلخ ..

وقد توفى عام ١٩٠٥ عن ٧٧ عامًا ، وبعد خمسين عامًا من وفاته اكتشفت السينما ـ التى صارت لها حقوق قصصه مجانًا ـ موردًا لا ينتهى ،

وسرعان ما انهالت الأفلام السينمائية التى تحكى أحلام هذا الرجل مجسدة على الشاشة .

لقد ترك (جول فيرن) علامة أبدية فى هيكل الخيال العلمى .. ولربما يذهب البعض إلى أنه هو من شيّد هذا الهيكل أصلاً ..

إن دقته العلمية درس بالغ الأهمية لكل من يفكر فى كتابة الخيال العلمى من بعده .. ولسوف ندرك هذا وأكثر بعد قليل ..

انتظروا .. وسترون !

★ ★ ★

ونعود إلى (جول فيرن) حيث وقف يخاطب السادة أعضاء نادى السلاح فى (بالتيمور) ، و (عبير) بينهم ..

قال فى رزانة :

- « أنتم تعرفون مشروعنا العظيم .. المشروع الذى اقترحه الرئيس (باربيكان)

والذى وجده كثيرون منكم سخيفًا مستحيل التحقيق .. لكنى أعطيتكم كلمتى وقلت إننى قادر على تحقيقه .. لقد أجريت الحسابات مرارًا ، ولم أترك حجرًا لم أقلبه كما تقولون معشر الأمريكيين .. إننا سنصل إلى القمر عن طريق مدفع جبار ! »

وارتجفت (عبير) رهبة ، وقد تذكرت القصة التى هى فيها الآن .. هذه قصة يصعب نسيانها .. هى لا تذكر التفاصيل لكنها كانت دقيقة جدًّا ، وقد تطابقت أحداثها بصورة محيرة مع عملية هبوط سفينة الفضاء (أبولو - ١١) على القمر ، فى ٢٠ يوليو عام ١٩٦٩ ..

أشار (فيرن) إلى رجل قصير القامة ، له شعر أحمر ثائر وعينان لا تكفان عن الحركة ، وقال :

ـ « وكما تعرفون .. فإن مواطنى (ميشيل آردان) المغامر الشجاع قد قبل أن يركب قذيفة المدفع هذه ، ويكون أول بشرى يخطو على القمر .. إننا معشر الفرنسيين لا نملك مالاً مثل الأمريكيين ، لهذا نمنح حياتنا بدلاً منه ! »

كان فى كلامه نعرة قومية (فرانكفونية) تثير الغيظ ، لكن الأمريكيين ـ فى ذلك العهد ـ كانوا يحبون الفرنسيين حقًا ، ويشتركون معهم فى كراهية الإنجليز .. ولهذا ابتلعوا تفاخره فى تواضع جمّ ..

قال الرئيس (باربيكان) :

ـ « كل شىء معدّ يا سيدى .. وتالله لن نفشل أبدًا .. »

هنا نهض رجل قصير القامة له وجه محتقن كالطماطم ، وقال :

ـ « أسجل هنا أننى أرى الفكرة مستحيلة ومجنونة .. إن هذه القذيفة ستنفجر بمن عليها فى ثوان .. »

استدارت (عبير) لتسأل العسكرى كثّ الشاربين بجوارها :

ـ « من هذا المتكلم ؟ »

قال دون أن ينظر إليها :

ـ « هذا هو الكابتن (نيكولا) .. وهو يلعب دور (الشريك المخالف) مع (باربيكان) دائمًا .. كل ما يقوله الثانى خطأ على طول الخط فى رأيه .. »

وعلى المنصة تململ (جول فيرن) ، وقال فى تهذيب :

ـ « أعتقد أننا عبرنا هذا الجسر يا كابتن (نيكولا) منذ زمن .. المشكلة الآن أخطر من

هذا .. إن الإنجليز يحاولون أن يسبقونا إلى القمر ! »

ـ « الويل ! »

ـ « سحقًا لرعايا الملكة ! »

وابتسمت (عبير) فى سرّها .. بالطبع كانت الأحلام تفعم أذهان الفرنسيين والإنجليز فى ذلك الوقت باعتبارهما القوتين العظميين .. وسرعان ما غرقوا فى حربين عالميتين ، ولم تدر القوتان متى انسحب البساط من تحت الأقدام ، لتظهر قوتان عظميان ما كانتا فى الحسبان هما أمريكا والإتحاد السوفيتى .. ومن لحظتها صار الصراع على القمر حكرًا على هاتين الدولتين .. لقد فعلتها (روسيا) أولاً وأرسلت (جاجارين) إلى الفضاء ـ وكان هذا يومًا أسود فى تاريخ

العلم الأمريكى(*) ـ ثم حشدت أمريكا هيبتها ، وأرسلت أول رجال يمشون على سطح القمر ..

قال (جول فيرن) يواصل كلامه :

ـ « نعم .. أكرر ما أقول : إن الإنجليز قد رسموا خطة للوصول إلى القمر ، وقد رسم معالمها أديبهم (هربرت جورج ويلز) .. منافسى الطبيعى .. أنا لا أحب قصصه ، ولا أرتاح كثيرًا إلى العلم الذى يستعمله لأنه ردىء ملىء بالمغالطات .. لكن كل شىء يدعونا إلى الحذر .. »

من جديد وقف الكابتن (نيكولا) وقال :

ـ « وماذا نفعل ؟ نحن ملتزمون بجدولنا الزمنى وليس بوسعنا أن نسبق أنفسنا .. هل نرسل من يقتل (ويلز) ؟ »

(*) يوم ١٢ إبريل عام ١٩٦١ ، وقد عدلت أمريكا مناهجها الدراسية وطريقتها فى التفكير بعدما صدمها هذا الحدث العلمى ..

ابتسم (باربيكان) كمن يلوم طفلاً شقيًا ، وقال :

- « لن نصل إلى هذا الحدّ .. لكنى راغب حقًا فى التجسس عليه .. »

ودار بعينيه بين الوجوه الجالسة وقال مردفًا :

- « نريد من يذهب إلى (لايمبن) ليعرف ما يدور هناك .. »

* * *

٣ ـ لقد أعددنا كل شىء ..

فيما بعد قال (هـ . ج . ويلز) وهو يشعل غليونه :

- « إن (جول فيرن) يخرف .. إنه يتناسى أبسط قواعد علم الطبيعة .. وإن إدراكه لمعادلات الحركة ولقوانين (نيوتن) يتسق تمامًا مع دراسته القانونية .. لو استطاع محام آخر أن يرسل صاروخًا إلى القمر ، لكان هذا كفيلاً بإفحامى .. »

وسعل كثيرًا لأن المرض الذى أصاب رئتيه ما كان ليحتمل كل هذا الدخان ، وأردف :

- « إن أول قدم ستلمس القمر ستكون قدمًا بريطانية .. »

* * *

فى نادى السلاح :

تعالت أصوات الهمهمة وعبارات الاحتجاج
- لا أدرى سببها فى الواقع - وراح كل واحد يشير
إلى نفسه وإلى الآخرين ، ويقول كلامًا كثيرًا ..

قال (جول فيرن) بصوت عال ليغلب باقى
الأصوات :

- إن الأمر غامض وجدّ خطير .. المشكلة هى
أن (ويلز) يعرف من الصحف كل شىء عن
خططنا ، بينما نحن لا نعرف شيئًا على الإطلاق ..
ومن جديد أقول إن على واحد منا أن يذهب
ليتبين الأمر .. »

قال (باربيكان) وهو يطوّح جذعه الطويل
النحيل :

- « هذه مشكلة .. إن (ويلز) لن يرحب
بأمريكى أو فرنسى يجىء من سماء صافية
كى يستفهم عن مشاريعه .. »

- « أنا مستعدة ! »

استدارت العيون كلها - ١٨٣٣ زوجًا منها -
نحو صاحبة الصوت الرفيع الذى دوى من
الصفوف الأمامية ، ولم يكن سوى صوت
(عبير) طبعًا ..

عادت - محمرة الوجه خجلاً - تكرر عرضها ..

مال (جول فيرن) برأسه الملتحى فوق
المنصة ، كأنما يراها أقرب ، وسأل :

- « من هى الآنسة ؟ »

بصوتها الرفيع الحاد عالى الطبقة ، قالت :

- « أنا (هازل ستانويك) .. صحفية .. »

نظر (فيرن) إلى (باربيكان) وهزّ رأسه
قائلاً :

- « معقول .. »

قال الأخير وقد بدا عليه الرضا :

ـ « لا بأس .. سيتكلم (ويلز) أمام الصحافـة ، خاصة إذا مثلتها حسناء كهذه .. »

وأشار لها كى تدنو من المنصة ، ثم صافحها وانحنى يطبع قبلة مبتلة على ظهر يدها ، وقال فى تهذيب :

ـ « يسرنا هذا يا آنسة (ستانويك) .. ولكن أحسب علينا أن ننتقل إلى مكان أكثر هدوءًا لنشرح لك تفاصيل فكرتنا أولاً .. لا بد أنك تعرفين كل شىء ؟ »

قالت فى خفر وهى تمسح ظهر يدها فى تنورتها :

ـ « فى الواقع لا أعرف ، إلا أنكم ستطلقون رصاصة ضخمة نحو القمر .. »

تبادل نظرة مرحة مع (جول فيرن) ، ثم قال ضاحكًا :

ـ « الأمر ليس بهذا التبسيط .. لكنه يتلخص فى هذه الجملة فعلاً .. »

والآن تعالى يا (ستانويك) إلى غرفة المطالعة بالنادى ، لتسمعى تفاصيل المشروع العملاق ..

★ ★ ★

أحضر الخدم لوح كتابة وقطعة من الطبشور ، فأخذهما (باربيكان) وأشار فى أدب إلى (جول فيرن) كى يتولى هو الشرح ، لكن الأخير هزّ كفه باسمًا :

ـ « أرجو أن تستمر أنت .. إنك استوعبت الفكرة جيدًا .. »

رسم (باربيكان) على لوح الكتابة دائرة ، وسأل (عبير) :

ـ « ما هذا ؟ »

ـ « يا له من سؤال ! طبعًا القمر .. »

- « أحسنت ! إنه كرة فى السماء قطرها ٢١٦٠ ميلاً .. وهذه الدائرة ؟ »

- « أحسبها الأرض .. »

- « برافو ! إن قطرها ٧٩٢٧ ميلاً .. وهى تبعد عن القمر بمسافة ٢٥٣ ألف ميل .. هذه طبعًا مسافة تزيد وتنقص مع دوران القمر الإهليلجى حول الأرض .. وكانت فكرتنا هى إطلاق طلقة على القمر .. سيكون على الطلقة أن تقطع خمسة أسداس المسافة ، وبعد هذا يجذبها القمر بجاذبيته إليه .. بمعنى أن هناك سبعة وثلاثين ألف ميل تقطعها الطلقة تحت سيطرة القمر .. »

كان (ميشيل آردان) جالسًا يجرع كوبًا من الشراب ، وهو يهزّ ساقه فى عصبية ، فلما وصل الحديث إلى هذا الجزء قال :

- « هل سنعود لشرح ذات الكلام من جديد ؟ »

قال (جول فيرن) :

- « لأن هناك من لم يسمعوه أول مرة .. »

وأدركت (عبير) على الفور نمط (آردان) .. نافد الصبر المتهور المندفع دائمًا .. إنه لا يستطيع مجرد السيطرة على نفسه بدعوى اللياقة ..

قال (باربيكان) متضايقًا لمقاطعته :

- « أنت تعرفين يا عزيزتى أن طول المدفع لا بد أن يساوى قطر القذيفة مضروبًا فى ٢٥ مرة .. وهكذا - مع وضع الغازات فى الاعتبار - كان علينا أن نصمم مدفعًا طوله تسعمائة قدم ..

« بالطبع كنا نعرف أننا سنصوب المدفع ليس على القمر ، ولكن على المكان الذى سيكون فيه القمر حين تصل القذيفة إليه ..

« وقد قدر علماء جامعة (شيكاغو) أن القذيفة ستستغرق نحو تسع وسبعين ساعة وربع حتى تصل إلى القمر ، لو وضعنا فى الحسبان احتكاك الهواء ونقص قوة الانطلاق .. »

قالت (عبير) وقد بدأت تفهم :

ـ « أى أنكم ستصوبون على المكان الذى سيكون القمر فيه بعد ٧٩ ساعة وربع .. »

ـ « بالضبط .. وهنا نشأت مشكلة تقوس المدفع .. إن ماسورة طولها تسعمائة قدم لا بد أن تتقوس .. وأبسط تقوس ـ تذكرى حساب المثلثات ـ سيؤدى إلى فساد التصويب بالكامل على مسافة ٢٢١٤٦٣ ميلاً ..

« لهذا فكرنا فى وضع المدفع فى حفرة ترتكز فوهته على حافتها .. بالتالى لا يحدث أى تقوس .. »

صفرت (عبير) بشفتيها منبهرة وقالت :

ـ « أنتم تفكرون فى كل شىء .. »

تبادل (باربيكان) نظرة فخورًا مع (جول فيرن) .. الواقع أن دقة (فيرن) العلمية مبهرة

دائمًا لمن يعرفها .. ربما باستثناء منافسيه من كتّاب الخيال العلمى ..

ثم إنه واصل الشرح :

ـ « نجىء لخامة القذيفة ذاتها .. نحن بحاجة إلى سمك كبير ، لكننا ـ كذلك ـ بحاجة إلى وزن خفيف .. هذا لا يتحقق إلا بالسكينة R.R التى هى أمتن من الحديد لكنها فى وزن الألومنيوم .. »

سألته (عبير) وهى تدون كل هذا فى مفكرتها كى لا تنساه :

ـ « وأين انتويتم إقامة المدفع ؟ »

حكّ الرئيس (باربيكان) لحيته فى صرامة ، وقال :

ـ « تلك كانت مشكلة .. ثمة احتمال لا بأس به ألا تنطلق القذيفة ، وأن يتحول المكان إلى كتلة من النيران والدخان وشظايا الحديد ..

« ولقد اخترنا مكانًا بعيدًا عن العمران فى (فلوريدا) يطلقون عليه (جبل الحديد) .. إن أقرب عمران له هو على بعد لا بأس به ..

« كانت مشكلة طبيعة التربة تضايقنا كذلك .. إن حفر عمق تسعمائة قدم يحتاج إلى أرض غير رخوة ، وغير صلبة جدًا .. »

ابتسمت (عبير) فى تهكم :

ـ « وهكذا ستحفرون فى الحديد ؟ »

ابتسم (جول فيرن) فى تهكم أكبر ، وقال :

ـ « لا يا آنستى .. إن (جبل الحديد) مجرد اسم .. لكنه عبارة عن أحجار جيرية لا أكثر .. »

دونت هذا فى مذكرتها ، ثم سألت :

ـ « وهل فرغتم من صنع هذا المدفع ؟ »

ـ « مازال العمل جاريًا .. وآه لو رأيت المشهد ! »

ووقف وظهره لها ينظر خارج النافذة ، كأنما يسافر بخياله إلى هناك .. إلى المشهد الرهيب لآلاف العمال عاكفين على حفر الحفرة العملاقة ، ووضع الصخور التى سيصبّ فى فجوتها المعدن المنصهر .. كأنه تمثال عملاق للتقدم البشرى ..

حقًا كان التمويل مشكلة بالنسبة لـ (باربيكان) و (جول فيرن) على السواء .. الأول كان بحاجة إليه لينجز مشروعه العملاق ، والثانى كان بحاجة إلى تدبيره على الورق كى تكون الرواية مقنعة للقارئ ..

طبعًا كان الحلّ الصحيح ـ والوحيد ـ هو مخاطبة تجار السلاح فى العالم .. أولئك القتلة الذين أثروا وكدسوا الملايين من كل حرب عرفها الإنسان .. وقد قبل أكثر هؤلاء تمويل الحملة على سبيل التوبة وطلب الغفران ..

فى شهر يوليو ستأتى اللحظة الهائلة ..



ووقف وظهره لها ينظر خارج النافذة ، كأنما يسافر بخياله إلى هناك ..

ستفتح أبواب مائة فرن لتنصبّ السبائك المتوهجة فى الحفرة ، لتملأ بالضبط تجاويف المدفع المرتقب .. ولسوف تظل المنطقة جحيمًا لمدة شهر كامل .. الحرارة لا تطاق والدخان يخنق الأنفاس ..

وفى أغسطس سيتجمد الحديد المصهور ، وينزل أعضاء نادى السلاح إلى قاع الحفرة ليتفقدوا مدفعهم العملاق ..

★ ★ ★

استدارت (عبير) إلى (ميشيل آردان) ، وبللت سنّ القلم بلسانها ، وسألته :

ـ « ومتى جاء دورك يا مسيو (آردان) ؟ »

كان قليل الكلام كما رأينا .. نافد الصبر دائمًا .. نموذج الاندفاع وعدم التعقل كما ينبغى أن يكون ، ومن الغريب أن يكون الفرنسى الوحيد فى قصة

تدور فى أمريكا بالكامل .. لكن المؤلف فرنسى على كل حال ، ومن أبسط حقوقه أن يدسّ رجلاً فرنسيًا هنا أو هناك على سبيل (التميمة) ..

على كل حال سيذكر الناس هذه القصة للأبد باسم (ميشيل آردان) ، كما أن الكابتن (نيمو) هو اسم آخر لقصة (٢٠ ألف فرسخ تحت البحر) ..

قال (آردان) وهو يمسك بساقه ليمنعها من الاهتزاز فى عصبية .

ـ « لم تكن الفكرة أساسًا تتضمن إرسال بشر .. كانوا يزمعون إرسال القذيفة إلى القمر وتصويرها بالمرقاب ، لكننى لم أقاوم فكرة أن أكون أول بشرى يضع قدميه على القمر .. ولهذا أبرقت لهم هنا أخبرهم أننى قادم .. »

ـ « وهل وافقوا على هذا ببساطة ؟ »

ـ « بالطبع لا .. حسبونى مجنونًا أو من هواة

الانتحار .. لكنهم حين رأوا ما صممته للقذيفة ؛ بدءوا يتراجعون .. لقد قمت بتزويد القذيفة بزنبركات قوية تقلل الصدمة على من يجلس داخل القذيفة .. قمت كذلك بجعل القذيفة كبسولة من جزأين .. بعد الإطلاق ينفصل الجزء السفلى وقد امتصّ أكثر شدة الصدمة(*) .. »

ثم أردف وهو يجرع المزيد من كوبه :

ـ « يوجد مزيد من الأشياء التى أضافها العلماء الفرنسيون لجعل القذيفة قابلة لحياة البشر .. توجد خزانات أكسجين ، وأحواض كيميائية تحول ثانى أكسيد الكربون إلى أكسجين .. توجد كذلك نوافذ مزدوجة يمكن فتح الداخلية أو الخارجية منها .. »

سألته :

ـ « يبدو لى الأمر (تذكرة بدون عودة) .. فماذا عن تذكرة العودة ؟ »

(★) من جديد نجد أن هذا ما حدث بالضبط عند تصميم (أبوللو) !

ـ « هـذا هـو ما أضافه علماؤنا : صواريخ أسفل القذيفة .. هذه الصواريخ تملك القوة على التحرر من جاذبية القمر الضعيفة أصلاً .. »

نظرت (عبير) إلى (جول فيرن) وسألته :

ـ « وهل يزمعون مغادرة الكبسولة والمشى على القمر ؟ »

تحسس (فيرن) لحيته الرمادية ، وقال :

ـ « بالطبع .. وإلا فما جدوى هذه الرحلة إذن ؟ »

ـ « وهل يمكنهم المشى فى جو بلا أكسجين ؟ »

ـ « سأزودهم بكل شىء .. »

وكانت تفهم هذه النقطة جيدًا .. الوصول للقمر هو المشكلة الرئيسية ، وما عدا ذلك تم التخطيط له بإهمال وكثير من العجلة .. فى الغالب لا يتصور أحد نجاح الجزء الأول من

الخطة ، ولتكونن مشكلة لو جاء الجزء الثانى ..

قالت مغلقة مفكرتها :

ـ « فيما يبدو أنتم أعددتم للأمر عدته ، ولا أعرف كيف ستفشلون .. »

ـ « لن نفشل .. »

ـ « يبدو الأمر أعقد من هذا كله .. أعتقد أن مشكلة ما ستطرأ من حيث لا تتوقعون .. ثمة مسمار ينفك دائمًا حين لا يجب أن ينفك .. ثمة شرخ يحدث دائمًا حيث لا يجب أن يحدث .. ثمة صفر (0) يختلط دائمًا بحرف (O) اللاتينى حين لا يجب أن يختلط .. »

وتذكرت باسمة رواية (الكونغو) لـ (مايكل كرشتون) .. كان (ترافيس) مهندس الأقمار الصناعية يضع على مكتبه لافتة تقول :

S.D.T.A.G.W ، وهى الحروف الأولى من عبارة :
« لابد من أن يحدث خطأ لعين دائمًا » ![*]

قال (جول فيرن) فى شىء من قلق ، ظهرت وطأته على جبهته :

ـ « الفشل الوحيد الذى أهابه هو أن يسبقنا الإنجليز .. أنا لا أعرف خطة (ويلز) ، ولا أتخيلها .. وهذه هى مهمتك يا آنسة (ستانويك) .. هذا لو كنت حقًا قد منحتنا ولاءك الكامل .. »

★ ★ ★

(★) (Some damn thing always goes wrong) .. وقد قدمنا الرواية فى (روايات عالمية للجيب) .. الكتيب رقم (٢٣)

٤ ـ عزيزى (هـ . ج . ويلز) ..

فى الثامنة مساءً اجتازت (عبير) مدخل البيت وقرعت الباب ..

كان الليل الإنجليزى البارد يغمر المكان ، ومن بعيد كان الريف فى بهائه الصيفى يستعد للنوم بعد يوم شاق ..

انفتح الباب وظهر شاب نحيل على شىء من الوسامة وكثير من الخرق ، فلما رأى وجهها ابتسم فى تهذيب :

ـ « الآنسة (ستانويك) ؟ هل أنت ؟ تفضلى بالدخول .. »

اجتازت (عبير) المدخل .. ولم يفتها أن تدرك أن البيت فى حال سيئة حقًا ، بلا أدنى

علامـة علـى لمسـة أنثويـة .. أجهـزة وآلات وأسلاك فـى كل صوب .. وأوراق ملقاة جوار الحائط .. وبقايا طعام على المكتب .. و .. و ..

قالت له وهى تتظاهر بأنها لم تر شيئًا :

- « هل أنت البروفسور (كيفور) ؟ »

- « بل أنا (جاك بدفورد) كـاتب مسرحيات عبقرى .. فقط لا أحد يعرف هذا بعد .. »

وجدت نفسها فى غرفة معيشة غير منسقة ، تتناثر فيها الصحف ، وتتوسط هواءها سحابة كثيفة من دخان الطباق ..

وبعد ثوان دخل البروفسور (كيفور) نفسه .. كان عالمًا من علماء القصص المصورّة بحق .. هذا وصف كاف جدًا ويقول كل شىء ..

حركاته سريعة .. يلوح بيديه بمناسبة .. ودون مناسبة قصير القـامة أقرب إلى البدانة .. شـارد

الذهن - كما هو واضح - بحيث ينظر لكل شىء دون أن يراه ..

صاح (كيفور) حين رآها :

- « آها ! الآنسـة الأمريكيـة .. الصحفيـة .. مرحبًا بك فى (لايمبن) .. هـذه قريـة صغيرة بائسة الحال لكنها تناسبني بشدة .. »

ورأت (عبير) رجلاً فى منتصف العمر له شارب رفيع أنيق ، وقد بدأ الشعر يتراجع عن مقدمة رأسـه ، ويرتدى بذلة أنيقة رماديـة اللـون ، فتـح سترتها كاشفًا عن صديرى تتدلى منه سلسلة ساعة ..

- « أقدم لك المستر (هربرت جورج ويلز) .. إنه من الكتاب القليلين الذين يعرفهم العالم بالحروف الأولى من أسمائهم : (هـ . ج . ويلز) .. مثله مثل (ت . س . إليوت) و (هــ . ب . لافكرافت) و(ر . ل . ستيفنسون) و (ج . ب . شو) ..

إن هذا شرف عظيم فى الإنجليزية ، ويعطى الاسم وقعًا مهيبًا شامخًا .. »

حياها (ويلز) بهزّة رأس ، ثم جلس ..

كان وقورًا متحفظًا يبتسم ابتسامة محايدة لاتدل على شىء ، وتذكرت (جول فيرن) الودود ، فأدركت أن هناك حقًا فارقًا هائلاً بين الإنجليز والفرنسيين ..

سألها (ويلز) فى كياسة ، وقد وضع ساقًا على ساق ، وعقد ذراعيه على صدره :

ـ « هل لنا أن نتشرف بمعرفة سبب هذا اللقاء ؟ »

قالت فى تهذيب :

ـ « أنا صحفية يا سيدى .. واليوم يتحدثون فى الولايات المتحدة عن أمور غريبة تدور هنا .. »

ـ « أنت قطعت المحيط كى تجرى حديثًا صحفيًا ؟! »

كانت فى (فانتازيا) حيث لا أهمية للمسافات ، لكنها لم تقل هذا .. لابد أن تكون حذرة لأن الإنجليز يرتابون فى الأمريكيين دائمًا ، فكيف لو عرف أنها تمارس نوعًا من (التجسس الصناعى) ؟

قالت :

ـ « إن الأمر يستحق هذا .. إن المسافة بين انجلترا وأمريكا لا تقارن بالمسافة بين انجلترا والقمر ! »

قال فى كبرياء :

ـ « إنهم يعرفون وهم قلقون حقًا .. لكنى أؤكد لك شيئًا واحدًا : أول قدم تلمس القمر ستكون قدمًا إنجليزية .. »

أخرجت المفكرة إياها ، وبللت القلم بلسانها كالعادة ، وتهيأت للكتابة قائلة :

- « هذا ما أريد الكلام عنه .. هل يضايقك أن نتكلم بشىء من الوضوح ؟ »

نظر إلى رفيقيه .. الأستاذ الشارد والشاب الأخرق .. ثم قال :

- « لا مشكلة عندى .. إن هؤلاء القوم لن يصلوا إلى تركيب (الكافوريت) ولو بعد ألف عام .. »

- « تعنى هؤلاء القوم عبر المحيط ؟ »

- « بل أعنى هؤلاء القوم عبر (المانش) .. إن الفرنسيين يحاولون أن يجعلوا من (جول فيرن) معبدًا للخيال العلمى ، بينما هو مجرد محام .. محام علاقته بالفيزياء كأى محام آخر .. »

ساد صمت رهيب ، قطعته (عبير) بأن سألت :

- « سيدى .. أعتقد أننى سمعت الفكرة كاملة من أصحابها ، وأجرؤ على القول إنها خالية من الثغرات .. »

- « بل كلها ثغرات .. هذه هى مشكلتهم ! »

★ ★ ★

هنا نتوقف كالعادة لنعرف شيئًا أو شيئين عن (هـ . ج . ويلز) ، وهذا ليس استطرادًا ما دام الرجل بطلاً من أبطال قصتنا هذه ..

ولد (ويلز) فى (كنت) بانجلترا عام ١٨٦٦ .. أى حين كان عمر (جول فيرن) ستة وثلاثين عامًا .. أى عندما كتب الأخير قصته الشهيرة (من الأرض إلى القمر) ..

كان من أسرة فقيرة ، وبعبارة أخرى لم يعش أية طفولة كالتى نعرفها ..

عمل فى متجر للقماش ثم عمل معلمًا ، وقضى فترة فى الجامعة فى (لندن) لم تمنحه شهادة ، لكنها منحته طريقة التفكير العلمى التى عرف بها فى كتاباته ..

كان (ويلز) واهن الصحة دائمًا ، مما اضطره إلى الهرب إلى عوالم القراءة والكتابة التى ترحب بأمثاله دائمًا ..

صار صحفيًا .. ثم كتب أولى قصصه الشهيرة (آلة الزمن) ، التى تتحدث عن نفسها ولاتحتاج إلى تعليق .. بعد هذا انهمرت إبداعاته التى يعرفها كل قراء الخيال العلمى ، وكل قراء الأدب الإنجليزى عمومًا : (حرب العوالم) ـ (أول رجال على سطح القمر) ـ (طعام الآلهة) ـ (شكل الأشياء القادمة) ـ (الرجل الخفى) .. و(كيبس) و (آن فيرونيكا) ، وهما قصتان تمثلان الاتجاه البعيد عن الخيال العلمى فى قصصه .. وقد كتب الرجل فى كل شىء وأى شىء ..

يعرف عشاق الأدب الفارق بين (ويلز) و (فيرن) جيدًا ، إن (ويلز) أعمق وأقرب إلى الفلسفة وفهم صراعات المجتمع وآلياته ، لكن العلم عنده مطاط نوعًا ملىء بالثغرات .. أما (فيرن) فهو دقيق جدًا وأخطاؤه نادرة أو معدومة ، لكنه مسطَح لا يهتم إلا بالمغامرة المثيرة ..(*)

ربما لهذا سيعيش (ويلز) فترة أطول بكثير من منافسه الفرنسى ..

★ ★ ★

قال (ويلز) فى مرارة وهو يشعل غليونه ويسعل :

ـ « السيد (جول فيرن) بدأ قصته مستندًا إلى مجموعة من الحقائق المتعفنة العطنة (المخوخة) ..

(★) تحدثنا عن (ويلز) بشىء من التفصيل فى مقدمات الروايات (١٦) و (١٧) و (٣١) من (روايات عالمية للجيب) .

« أولاً : يفترض السيد (فيرن) أن مدفعه سيعطى القذيفة سرعة مقدارها ١٦ كلم / ثانية .. تهبط إلى ١١ كلم / ثانية نتيجة للاحتكاك بالهواء .. هذه هى السرعة الكافية لتحرر القذيفة من الجاذبية الأرضية ؛ لكن أقوى مدفع يستخدم البارود لا يستطيع إطلاق قذيفة أسرع من ٣ كلم / ثانية .. كما أن مقاومة الهواء ستكون مخيفة وقتها ..(*)

« ثانيًا : يحسب السيد (فيرن) أن تزويد الكبسولة ببعض اليايات ، يكفى لتقليل صدمة التسارع على ركاب الكبسولة .. هذا هراء محض .. إن نقل سرعة أجسام ساكنة من الصفر إلى ١٦ كلم / ثانية خلال جزء من الثانية ، لن يمرّ بسلام أبدًا .. بعبارة أخرى :

(*) الاعتراضات على (فيرن) و (ويلز) مأخوذة من كتاب (الفيزياء المسلية) للرياضى الروسى (ياكوف بريلمان) . من إصدارات دار (مير) للطباعة والنشر (موسكو) .

سيزداد ـ لحظة الإطلاق ـ وزن كل جسم داخل الكبسولة بمقدار ٦٠٠٠٠ مرة .. أى أن قبعة السيد (ميشيل آردان) الجميلة سيتحول وزنها إلى ١٥ طنًا .. ومن العبث أن نظن أن بعض اليايات ستقلل الضرر الناتج .. لا فارق بين أن يموت المرء تحت وزن ١٥ طنًا ، أو يموت تحت وزن ١٤ طنًا !

« إن الخطر الذى سيواجهه هؤلاء القوم داخل الكبسولة ، لايقلّ عن الخطر الذى كانوا سيواجهونه لو وقفوا أمامها .. »

ثم نظر إلى السقف باحثًا عن تعبير مناسب :

ـ « كفتة ! هذا هو ما سيتحولون إليه ! »

بدا الغباء على (عبير) ، وقد أحست بالضياع وسط كل هذه الأرقام ، فقال لها (ويلز) باسمًا :

ـ « يمكن لأى أحمق قرأ نظريات (نيوتن) أن يتأكد من دقة ما أقول .. أنت لم تقرئى (نيوتن) طبعًا ، لهذا أضعك خارج دائرة الاتهامات ! »

قال (كيفور) راضيًا :

ـ « هكذا العلم الفرنسى .. رومانسى وخيالى أكثر من اللازم .. أما نحن فلا نعترف إلا بالحقائق الكئيبة ! »

يواصل (ويلز) تحطيم نظرية (جول فيرن) فى استمتاع :

ـ « طبعًا هناك حلّ واحد لمنع هذه الصدمة ، هو إطالة ماسورة المدفع إلى ٦٠٠٠ كيلومتر .. وهكذا يحدث التسارع بشكل تدريجى ، ولا تزداد قبعة (آردان) فى الوزن أكثر من ضعفين .. لكن مدفعًا بهذا الطول لابد من أن يبدأ عند مركز الكرة الأرضية !

« ثالثًا : من الواضح تمامًا أن السيد (جول فيرن) لم يضع فى حسابه موضوع انعدام الوزن داخل الكبسولة .. بعبارة أخرى لن يستطيع هؤلاء التعساء أن يأكلوا أو يشربوا ، لأن كل شىء سيحلق فى هواء الكبسولة وهم كذلك .. »

صفرت (عبير) بشفتيها .. حقًا إن العلم لا يترك شيئًا .. وقديمًا قالوا إن رجل الشارع يتعامل مع العلم باعتباره نوعًا من السحر ، ويقبل كل ما يقوله دون مناقشة .. لكن غريب أن يرتكب (جول فيرن) كل هذه الأخطاء ، وهو معروف بدقته العلمية البالغة ..

سألت (ويلز) فى فضول :

ـ « أحسب أنكم أعددتم ترتيبًا أفضل ؟ »

نهض ، وقال وهو يشير لها إلى خارج الغرفة :

ـ « أفضل بكثير .. والفضل لعبقرية (كيفور) وإخلاص وتفانى (بيد فورد) ، الذى عزف عن كتابة المسـرحيات الرديئـة ، وقـرر أن يـزور القمر .. ولكن لـو تبعتنـا إلـى الغرفـة المجاورة لفهمت أكثر .. »

وقـررت (عبـير) أن تتبعهـم إلـى الغرفـة المجاورة لتفهم أكثر ..

★ ★ ★

٥ ـ لقد أعددنا كل شىء ..

(معذرة لتشابه العناوين)

كرة عملاقة من الزجاج تتوسط كرة عملاقـة من الصلب تفوق قطرهـا ببضـع سنتيمترات .. تقف شامخة مهيبة فى معمل فسيح لا سقف لـه ، وقد أحيط بأوتاد تمنعها من التدحرج على أرض المكـان ، وقـد بنـى حولهـا فـرن يسـمح بصبّ المـادة على الصلـب .. المـادة المنصهـرة التـى لاتدرى (عبير) كنهها ..

كانت فى الكرة الخارجية فتحة تشبه الباب ، تقود إلى فتحـة مماثلة فى الزجاج ، وكانت ـ الكرة ـ مزودة فى كل سطوحها بما يشبه مصاريع النوافـذ القابلة لأن تفتح وتغلق بمفاتيح زنبركية من الداخل ..

دارت (عبير) حول الكرة مبهورة الأنفاس ، بينما (ويلز) يحشو غليونه على طريقة من رأى المشهد مئات المرات فلم يعد ينبهر به ..

وراح (كيفور) ـ ككل عالم مجنون آخر ـ يهذى بأشياء ما ، ثم صرخ فى ثلاثة مساعدين مذعورين ، فهرعوا يضعون شيئًا كالسلم يقود إلى باب الكرة ..

قالت (عبير) وهى تتحسس المعدن الصقيل :

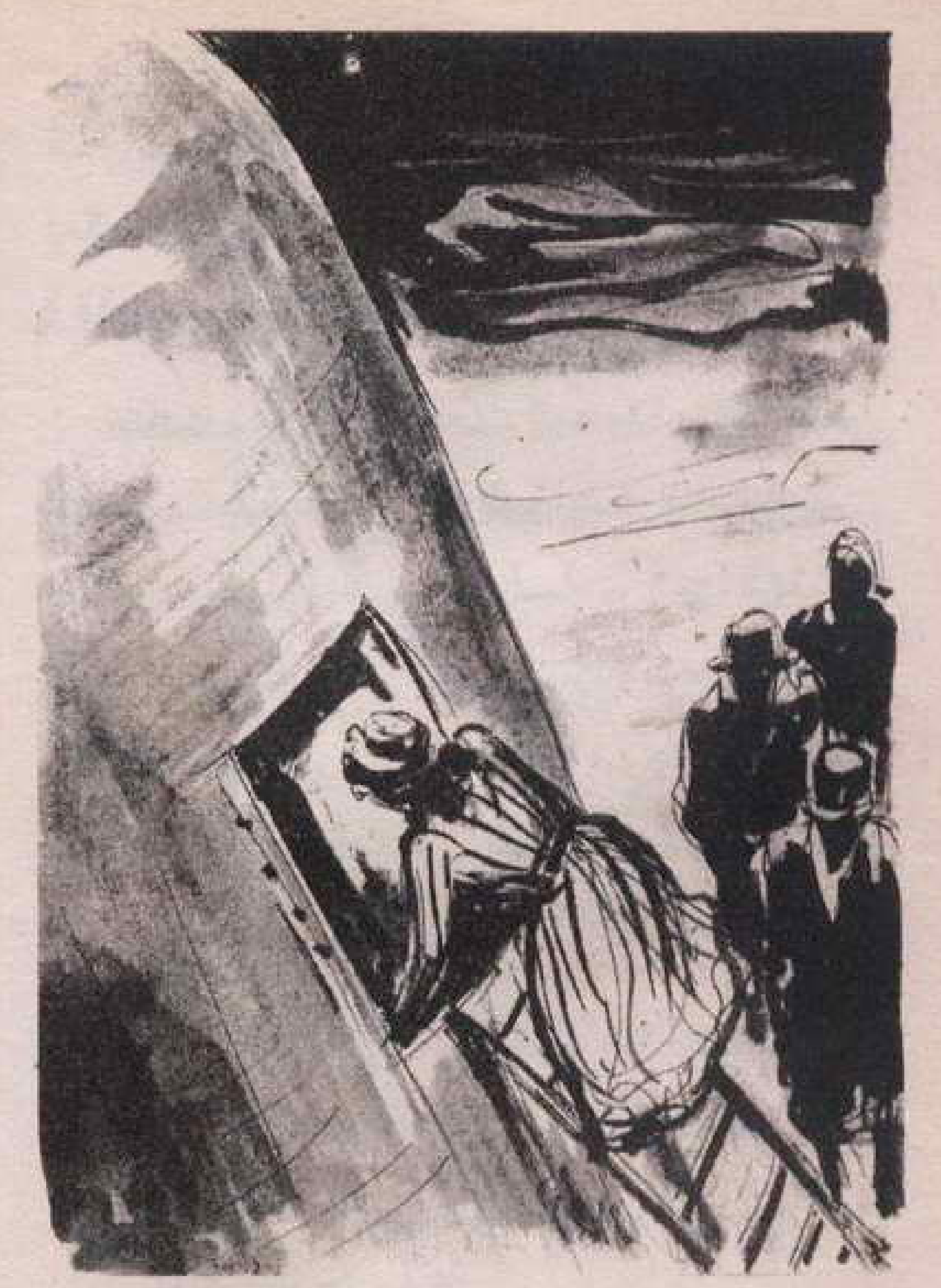
ـ « إن كرتكم شبيهة بكرات الأعماق .. يبدو أن المستر (ويلز) مولع بالشكل الكروى .. لم تكن هذه أول مرة .. لقد قرأت قصتك الشهيرة (فى الهاوية) ، وكانت الكرة مخصصة للغوص تحت المحيط .. »

قال (ويلز) فى غير اكتراث (وربما ضايقه نوعًا هذا الكشف عن أساليبه) :

ـ « ربما .. أن (أرسطو) كان يعتبر الكرة أكمل الأشكال الهندسية ، لأنه ليس لها طرف يمكن الإمساك به .. ولكن دعينا من هذا ، والقى نظرة من الداخل .. »

صعدت (عبير) الدرجات المعدودة ونظرت إلى الداخل .. إلى الجدران الزجاجية اللامعة التى صنعت بمهارة غير معقولة .. إلى الحشية المفروشة على الأرض ، وجهاز تحويل ثانى أكسيد الكربون إلى أكسجين ، وجهاز تقطير المياه ، وأنابيب المعجون التى كتب على كل منها اسم محتواها : (لحم معجون) ـ (حلوى) ـ (خضر ممهوكة) ـ (جبن) ..

لا بأس .. لقد كان رواد الفضاء يأكلون من أنابيب مماثلة .. ومن الواضح أن (ويلز) دقيق فى هذا الجزء على الأقل ..



صعدت (عبير) الدرجات المعدودة ونظرت إلى الداخل .. إلى الجدران الزجاجية اللامعة التى صنعت بمهارة غير معقولة

هبطت الدرجات المعدودة من جديد ، ونظرت إلى وجه (كيفور) المتوتر ، وكان سؤالها منطقيًا جدًا وبسيطًا :

- « كيف سيطير هذا الشىء ؟ »

ابتسم فى خبث ، ورفع كتفه كما يفعل الأطفال حين تطلب منهم الغناء ، ثم قال :

- « سيطير بفضل مادة (الكافوريت) .. »

- « وما هى مادة (الكافوريت) هذه ؟ »

قال (بدفورد) لينقذ الموقف وليحميها من إجابة فظة :

- « إن (الكافوريت) هو سرّ الموضوع كله .. لنقل إنه اللعبة كلها .. فقط نقول إنه عازل يمنع وصول الجاذبية الأرضية إلى الأجسام .. »

وقال (ويلز) وهو يمسك بلوح معدنى مطلى بطلاء بنى ، كان على الأرض :

- « سأريك تجربة بسيطة .. »

وكأنما بلغة التخاطر اتجه الثلاثة المساعدون إلى خزانة حديدية كانت فى ركن المعمل ، وتعاونوا على حملها ليضعوها فوق اللوح المعدنى .. كانت عروقهم توشك على الانفجار مما دلّها على ثقل هذه الخزانة ..

- « والآن انظرى ! »

وكأنما يؤدى عرضًا سحريًا على المسرح ، انحنى (ويلز) وحمل اللوح بأطراف أنامله ومن فوقه الخزانة الحديدية ! وبنفس السهولة والأسلوب اللذين يحمل بهما المرء جريدة وجدها على الإفريز ..

صاحت (عبير) مصفقة بكفيها :

- « هذا سحر ! »

- « ليس سحرًا يا آنسة .. بل هو العلم ذاته .. إن هذا اللوحِ مطلى بمادة (الكافوريت) ، وبالتالى صار عازلاً يمنع وصول الجاذبية الأرضية إلى الخزانة .. وبعبارة أدق لم يعد للخزانة وزن تقريبًا .. »

قال (كافور) فى فخر مجنون :

- « إنها مادتى العبقرية .. بهذه المادة يستطيع المرء أن ينقل بارجة كاملة بيد واحدة لو أراد ، لكننا اخترنا لها استعمالاً أفضل .. »

وبدوره قال (ويلز) :

- « هذه الكرة سيتم تغليفها بالكامل بمادة (الكافوريت) .. ما هى النتيجة التى تتوقعينها ؟ »

- « تطير طبعًا .. »

- « تطير نعم .. ولكن للأبد ! ستظل ترتفع لأعلى إلى يوم الدين .. »

وأشار إلى النوافذ التى تحيط بالكرة ، وقال :

ـ « هذه النوافذ مغطاة بالـ (كافوريت) كذلك ، لكن يمكن فتح أى منها ، وبالتالى تصل الجاذبية إليها حسب الحاجة ..

« بعد تحليق الكرة إلى الفضاء ، يمكن للراكب أن يكشف النافذة المواجهة للقمر مثلاً ، وبالتالى تعمل جاذبيته وتجذب الكرة إليها .. وعند الانتهاء من استكشاف القمر نغلق النوافذ كلها و .. هوب ! تحلق الكرة فى الفضاء من جديد ، ويبدأ كشف النوافذ المواجهة للأرض .. »

لمست (عبير) كفيها ببعضهما كمن يصلى ، وهتفت :

ـ « أنت .. أنت عبقرى ! »

داعب (ويلز) شاربه فى رضا ، وقال :

ـ « أعرف هذا لكنى أحب أن أسمعه .. لن تكون

هناك انفجارات ولا نيران ولا قبعات تزن أطنانًا .. كل شىء بنعومة وهدوء .. »

سألته وهى تدور حول الكرة فى شغف :

ـ « ولماذا لا تطير الآن ؟ »

ـ « لأنها مثبتة إلى الأرض ، ولأننا لم نصبّ (الكافوريت) عليها بعد .. لكننا سنبدأ خلال أيام .. »

فكرت حينًا ووضعت مفكرتها تحت ذقنها ، ثم قالت :

ـ « هل يضايقك أن أنشر هذا ؟ »

نظر لـ (كيفور) و (بدفورد) وتساءل :

ـ « ما رأيكما أيها السيدان ؟ »

أما الثانى فلم يتحمس ، وقال شيئًا عن سرقة الأفكار .. بينما صاح الأول فى حماسة :

ـ « لم لا ؟ إن مفتاح الكشف هو (الكافوريت) .. ولا أحد يستطيع صنعه أبدًا سواى .. يمكنك أن تكتبى عن كل شىء رأيته أو سمعته يا آنسة .. »

قال (ويلز) فى شرود :

ـ « لست متحمسًا مثلك .. إن حريقًا بسيطًا يمكن أن يقضى على كل شىء هنا .. أنا لا أثق بالأمريكيين لحظة .. »

ـ « (الكافوريت) لا يحترق .. والأبحاث فى ذهنى لا على الورق .. »

غارقًا فى التفكير ؛ ظل (ويلز) صامتًا هنيهة ، ثم قال كأنه ملك يمنح العفو :

ـ « حسن .. يمكنك نشر ما تريدين .. »

وضعت مفكرتها فى حقيبتها ، وصاحت وهى تهزّ كفه بقبضتيها :

ـ « شكرًا ياسيدى .. شكرًا ! »

بدا متحفظًا ككل الإنجليز حين يصافحهم أحد ، وهم يمقتون المصافحة بشدة .. وهزّ رأسه كأنما يمنحها البركات ..

★ ★ ★

فى طريق العودة (إلى الولايات المتحدة ؟) راحت (عبير) تتأمل جوانب هذه المغامرة .. بصعوبة كان بوسعها الآن أن تتذكر عالم الواقع ، والخطاب الذى وجدته لدى (شريف) ، ونوباته القلبية .. إلخ .. الآن ذابت تمامًا فى هذا السباق المحموم بين الأنجلو ساكسون والفرانكفونيين على الظفر بالقمر ؛ وهو السباق الذى سيتكرر فى عالم الواقع بين الأمريكيين والسوفييت ..

لم تكن تتذكر التواريخ الصحيحة ؛ لكنها فيما بعد عرفت أن قصة (جول فيرن) قد كتبت عام

١٨٦٤ ، بينما قصة (هـ . ج . ويلز) قد كتبت عام (١٩٠١) .. بمعنى أن سبعة وثلاثين عامًا تفصل المحاولتين .. بالتأكيد قرأ (هـ . ج . ويلز) قصة (جول فيرن) ومحّصها ، وبحث عن الأخطاء فيها حتى وجدها وتلافاها ..

لكن - على طريقة (فانتازيا) - صارت المحاولتان متزامنتين ، وهى على علاقة مباشرة بهما .. ومن العسير التنبؤ بشىء ، لأن (فانتازيا) لا تلتزم بحرفية القصص الأصلية ..

* * *

ولم تعرف كذلك أنها تعمل فى جريدة اسمها (ماريلاند ويكلى) ؛ إلا حين عادت إلى الولايات وكتبت مقالاً ساخنًا يصف الموقف :

هل يخالف التوفيق المدفع أم الكرة ؟

يبدو أن القمر صار ثمرة دانية تنتظر القطاف ، فقط بيد من يبرهن على أن فكرته هى الصحيحة والدقيقة علميًّا . عبر المحيط يزعم الدكتور (كيفور) العالم الإنجليزى أنه قادر على الوصول إلى القمر باستخدام كرة مغلفة بمادة ضد الجاذبية ، ويرى أن نظرية (نادى السلاح) خاطئة تمامًا لن تفضى إلا إلى كارثة .

وعلى الجانب الآخر من المحيط فى (بالتيمور) ، يرى السيد (باربيكان) أن التجربة قد أخذت حقها من التمحيص ، وأن الوصول إلى القمر عبر ماسورة مدفع أمر ممكن .

من الطريف أن هذا الصراع نموذج آخر للخلاف بين المسيو (جول فيرن) والسيد (هـ . ج . ويلز) اللذين يؤمن كل منهما بصواب فكرته .

لم يكن هذا هو الصراع الأول .. فقد كان (فيرن)

هو أول من تنبأ باختراع الغواصة فى قصته (٢٠ ألف فرسخ تحت البحر) ، لكن (ويلز) يصرّ على أنها اختراع لا قيمة له ، وأن كرة الأعماق التى وصفها فى قصته (فى الهاوية) هى الحلّ الأمثل . (فيرن) مصرّ على أن قصص (آلة الزمن) و (الرجل الخفى) قصص حمقاء تنم عن جهل تام ، بينما (ويلز) يرى أن (رحلة إلى مركز الأرض) ليست سوى وسيلة لكسب الرزق ، من شخص أراد أن يتخلص من ضائقة مالية عابرة ..

(ويمضى المقال على هذا النحو ..)

كانت جالسة فى مكتبها تقرأ المقال ، مستمتعة بذلك الشعور الذى يراود من يرى كلماته مطبوعة للمرة الأولى ، حين جاء من يستدعيها إلى مكتب رئيس التحرير ..

إن المستر (هيرد فورد) رجل كثّ السالفين

يدخن بإفراط ، ولا يكف عن الحركة .. قال لها وهو يلوّح بصفحة الجريدة التى بها مقالها :

ـ « إن هذا مثير .. مثير حقًا .. وإن أرقام التوزيع لفى ارتفاع مطرد .. لهذا قررت أن أخبرك بفكرتى .. ولكن أريد انطباعاتك أولاً .. هل من الممكن أن ينجح أحدهما ؟ »

عقدت يديها خلف ظهرها فوق التنورة المصفحة ، وقالت :

ـ « ربما نجح كلاهما .. إننى أعرف الفكرة الممكنة حين أسمع واحدة .. »

وكان يتمنى سماع هذا ..

قال لها وهو يطوى الجريدة ، ويتناول ورقة من على المكتب :

ـ « هاك إعلان أنتوى نشره غدًا .. إننا سنجعل

يوم الانطلاق واحدًا لكلا الرجلين .. سيرحل (آردان) و (كيفور) إلى القمر فى اليوم ذاته .. واللحظة ذاتها ..

« إن هذا يعطى الأمر كله صورة سباق الخيول ، والناس تعشق السباق بأنواعه .. هذه هى الطريقة الوحيدة لجعل رجل الشارع يهتم بالعلم » .

قالت فى كياسة :

ـ « ربما كان هذا عسيرًا بعض الشىء .. وربما كانت لدى كل منهما اعتباراته العلمية الخاصة بساعة البدء .. »

ـ « وهنا يجىء دور المكافأة المالية التى لاتُرفض .. هذا هو (العرض الذى لايمكنهم ردّه) .. وهو عرض يقدمه كبار المساهمين فى جريدتنا .. »

(عرض لا يمكن ردّه) .. العبارة الشهيرة التى تكررت مرارًا فى فيلم (الأب الروحى) ؛ والتى جعلتها تشعر بأن المافيا جزء لا يتجزأ

من عالم الولايات المتحدة .. إنه القرن التاسع عشر ، وعسير أن يكون رئيس التحرير قد شاهد الفيلم ..

قالت :

ـ « وما هى الترتيبات لسباق كهذا ؟ »

ـ « الأمر هو البساطة ذاتها .. مراقبون فى انجلترا ، ومراقبون فى (بالتيمور) ، وحين يجىء الوقت الذى سيتم الاتفاق عليه ، تنطلق المركبتان نحو القمر .. ولسوف تراقب المراصد مسار السباق .. »

فكرت فى مدى صعوبة متابعة حدث كهذا ، يحدث فى قارتين ، فى عصر لم يكن فيه تلفزيون ولا أقمار صناعية .. لكنه ممكن على كل حال ..

هزّت رأسها أن نعم .. هنا سألها رئيس التحرير :

ـ « أية مركبة ستختارين للسفر ؟! »

★ ★ ★

٦ ـ نحو القمر ..

وقفت (عبير) فى ردهة نادى السلاح شبه الخالية ..

كانت تنتظر ظهور (باربيكان) أو (آردان) أو حتى (جول فيرن) نفسه ، ولم تجرؤ على الدخول لأن السقاة سيضايقونها ، لأن قاعة التدخين لا تسمح بدخول النساء والكلاب ! نعم .. هكذا أخبرها الساقى فى أدب جمّ .. إنها تعرف التقاليد السخيفة لتلك الأندية ..

(تك .. تتك !)

سمعت الصوت وراءها ، فلم تلتفت .. إن القلم الجافَ الزنبركى لم يخترع بعد .. وهذا معناه أن القادم هو ..

ـ « مرحبًا يا (أليس) .. تك تتك ! »

قالت دون أن تنظر إليه :

ـ « إنهم يتوقعون منى ركوب هذين الشيئين .. »

قال فى بروده الثلجى المعتاد :

ـ « لا أحد يستطيع إرغامك على شىء .. لكنك ستقبلين .. أنت تعرفين أنك ستقبلين ، لأنه ما من فتاة فى عالم الواقع ـ ولا الخيال ـ أتيحت لها فرصة كهذه .. إن زيارة الملاهى دون ركوب القطار الإفعوانى حماقة .. يمكنك أن تقولى إنك تخافين المرتفعات .. إنك تشعرين بالدور .. لكنك فى النهاية تشعرين أن إضاعة فرصة كهذه حماقة .. وإلا فلماذا دخلت الملاهى أصلاً ؟ »

قالت فى ضيق :

ـ « وهذه هى المشكلة .. لا أحد يرغمنى سواى ! وأنا ـ بحق ـ ألد أعداء نفسى وأكثرهم قسوة .. »

سألها وهو يواصل الضغط على قلمه :

ـ « هل قررت التجربة على طريقة (فيرن) أم طريقة (ويلز) ؟ »

- « لا أدرى .. يبدو لى أن طريقة (ويلز) أكثر أمنًا ، لكنها تبدو خيالية أكثر من اللازم .. »

- « إن طريقة (فيرن) خطرة ، لكنها مهمة جدًا ، لأن التطابق بينها وبين ما حدث بالفعل فى برنامج (أبوللو) ، يوشك أن يكون كاملاً .. »

استدارت وسألته :

- « أحب أن أرى طريقة (ويلز) عن قرب ، وأكره أن أفوتها .. »

ابتسم (المرشد) ابتسامته السمجة ، كاشفًا عن أسنانه ، وقال :

- « وتلك هى المفاجأة يا عزيزتى .. لسوف تكونين فى التجربتين معًا ! »

- « فى الآن ذاته .. لو لم تهبك (فانتازيا) القدرة على التواجد فى مكانين فى نفس الوقت ، فمن سواها يستطيع ؟ »

فى حنق صاحت :

- « يا سلام ! وأيهما ستكون أنا ؟ »

- « أنت الاثنان معًا يا عزيزتى .. »

- « لابد من واحدة تحمل وعيى الحالى .. الأخرى ستكون صورة .. »

- « لن يحدث هذا .. ثقى بى .. والآن .. »

وأشار إلى رجل يخرج من قاعة التدخين - وسط سحب التبغ الكثيف - ويتجه نحوهما .. فأردف :

- « هذا هو ذا (باربيكان) .. ستعرضين عليه أن تكونى مع (آردان) فى رحلة القمر هذه .. »

- « لن يقبل .. »

- « بل سيقبل حتمًا .. أحيانًا يكون الصحفيون أهم من الأكسجين الذى سيتنفسه (آردان) فى الكبسولة .. إن الرجل بحاجة إلى إعلام ، وأنت الإعلام ذاته .. »

وكما يفعل دائمًا ، تلاشى من المكان لا تدرى متى ولا أين ذهب ..

★ ★ ★

كما توقع (المرشد) لم يمانع (باربيكان) كثيرًا فى اصطحابها ، والغريب أنه كان ينوى ركوب الكبسولة مع الكابتن (نيكولا) .. الأول كى لا يتهم بالجبن ، والثانى على سبيل العناد ..

هكذا ستحمل الكبسولة البائسة أربعة روّاد فضاء (أم ضحايا ؟) .. بينهم امرأة تسبق بزمن سحيق محاولة (فالنتينا تشريكوفا) البطولية ..

كتبت كذلك لـ (هـ . ج . ويلز) تخبره أنها تنتوى ركوب كرة (الكافوريت) مع (كيفور) و (بدفورد) .. أرسل يقول لها إنه لا يمانع .. بالطبع لم يتصوَر أحد الرجلين أنها ستكون فى الآن ذاته مع (جول فيرن) ..

وبسرعة دارت العجلة ..

فى (بالتيمور) جاء اليوم التاريخى المشهود الذى قام فيه جيش العمال بصبّ الخليط المصهور الممزوج بمادة R . R ..

كان المكان قد تحوّل إلى خلية نحل .. أكواخ العمال فى كل مكان ، وخط سكة حديدية بالغ النشاط يصل ما بين الميناء والجبل .. حقًا إن لـ (جول فيرن) عقلية إنتاجية تنظيمية لا تتوفر لدى (هـ . ج . ويلز) ..
وكان المشهد رهيبًا بحق حين أصدر المهندسون الإشارة فى ذلك اليوم من شهر يوليو ، فانفتحت الأفران المائة لتصبّ ما بها من جحيم سائل فى الحفرة ، وتصاعد الدخان كريه الرائحة ليجعل الرؤية مستحيلة ..

لقد كتب على جبل الحديد أن يصير قطعة من جهنم لمدة شهر ونيف ..

وفى الآن ذاته كانت الكبسولة تُصنع فى

(بتسبرج) ومعها القذيفة التى ستحملها ، والتى ستوضع فى فوهة المدفع الهائل ..

أما عبر المحيط ؛ فكان (كيفور) ينهى التفاصيل الأخيرة الخاصة بكرته ، وبدأ طلاؤها بمادة (الكيفوريت) الممزوجة بالغراء .. حقًا كان العمل هنا أبسط وأقل إبهارًا .. أقرب إلى عمل الهواة ..

لكن العبرة فى النهاية هى بالقدم التى ستوضع على القمر : قدم (آردان) أم قدم (كيفور) ؟

★ ★ ★

بالطبع لم يكن هناك تلفزيون فى هذا الوقت من القرن التاسع عشر ، ولم تكن هناك أقمار صناعية ..

وفى هذا اليوم بالذات من شهر ديسمبر ، شعر الناس بالحسرة لأن هذه الأشياء لم تخترع بعد .. كان وقت طويل ينتظرهم قبل أن يشمر الأخ (جون بيرد) عن ساعديه ويبدأ فى اختراع التلفزيون الأول .. ولربما ولدت الفكرة من لحظة كهذه ظلت ندوبها فى ذاكرة البشر طويلاً ..

وتذكرت (عبير) قصة قصيرة لـ (مارك توين) ، تحكى عن شاب استطاع معرفة نشوب الحرب فى أوربا مبكرًا جدًا .. قبل أن تصل الأخبار عبر المحيط إلى أمريكا ، وهكذا اشترى كل الصوف فى السوق عالمًا أن سعره سيصل إلى السحاب خلال شهر واحد .. والسرّ هنا هو أن الشاب وجد جريدة بريطانية حديثة (عمرها أسبوعان لا أكثر) فى بطن سمكة قرش اصطادها على الساحل الأمريكى .. نعم .. إن مشكلة بطء انتقال الأخبار فى الماضى كانت تجعل الناس مجموعة من العميان الصمّ ..

فلنذكر هذا كلما ضغطنا على زرّ التلفزيون أو الراديو ، أو رفعنا سماعة الهاتف ، أو بدأنا الإبحار فى خِضم (الإنترنت) ..

أما عن (عبير) فلنا أن نتصور منظرها اليوم ..

كان نهارًا باردًا ، وكان لها كل الحق أن ترتجف وألا تشعر بأناملها .. لكن ليس إلى هذا الحدّ !

كانت تنتفض كورقة وهى ترمق فوهة المدفع العملاق المصوبة إلى السماء ، وقد بدأت عمليات الإخلاء .. فقط المخابيل يمكن أن يتواجدوا فى دائرة عدة أميال من موضع الإطلاق .. وكانت هى من المخابيل ..

وقالت لنفسها : لا بأس .. لو هلكت فى هذه القنبلة ، فهناك واحدة أخرى منى فى (بريطانيا) ..

صدرت لهم الإشارة فراحوا الواحد بعد الآخر يستقلون الكبسولة .. (باربيكان) و(نيكولا) و (آردان) و(عبير) وكلب الأول .. وهذا الأخير جاء رمزًا لهواية الأمريكيين المبالغ فيها لاقتناء الكلاب .. دائمًا تشعر أن كلب الرجل جزء آخر منه .. ربما (هو) آخر ..

نظرت (عبير) حولها ..

كانت الكبسولة مبطنة من الداخل بالإسفنج .. كبسولة فضاء فاخرة جدًا تناسب تفاصيل العصر ،

بما فيه من أبهة وولع بالحلول غير العملية .. كانت هناك منضدة مثبتة إلى الأرض حولها مقاعد مثبتة أيضًا ، وكانت هناك كميات من الأطعمة والمشروبات .. بل كانت هناك كتب ومجموعة من أوراق اللعب ..

وسمعت (عبير) صوت الباب ينغلق .. لابد أن هذا الصوت لم يبد رهيبًا بهذا الشكل لأحد مرضى التيبس ، بينما القبر ينغلق عليه من الخارج وهو حى ..

قال (باربيكان) فى محاولة لإضفاء جو من المرح :

ـ « ستكون إقامتنا هنا فاخرة على الأقل .. »

وبدأت الاهتزازات .. كل شىء يهتز ويتأرجح ..

أدركوا أن هذا هو (الونش) الذى يحمل الكبسولة ببطء ، ليسقطها فى ماسورة المدفع فوق القذيفة ..



كبسولة فضاء فاخرة جدًا تناسب تفاصيل العصر ،
بما فيه من أبهة وولع بالحلول غير العملية ..

استمرت الاهتزازات ، ثم سمعوا صوت صدمة رفيقة تحت أقدامهم ، فأدركوا أن الكبسولة بلغت قاع المدفع ..

★ ★ ★

وفى ذهن (عبير) المعتاد على وسائل إعلام القرن العشرين ؛ بدأ صوت المذيع الوهمى يصف مايحدث :

ـ « ببطء يا سادة كما ترون ؛ ينزلق المسافرون الشجعان فى الكبسولة عبر ماسورة المدفع ..

« فى اللحظة ذاتها يتم إخلاء الموقع .. خلال دقائق سيتحرك القطار حاملاً آخر الفنيين إلى (تامبا) ، على بعد أميال من دائرة الخطر ..

« إن العلماء يؤكدون جميعًا أن الانفجار سيكون مريعًا .. ولنا أن نتصور مشاعر هؤلاء الأبطال الذين يجلسون داخل المدفع حقيقة لا مجازًا ..

« والآن يتجه المستر (ماستون) ـ واحد من أبرز أعضاء نادى السلاح ـ إلى الكوخ الذى يبعد ميلاً عن الموقع ..

« نحن هنا بانتظاره فى الكوخ يا سادة .. يمكننا أن نرى أن الكوخ مصنوع من الفولاذ ومغطى بالرمال والشكائر الواقية ..

« كما ترون يوجد هنا صندوق التفجير الذى سيغلق الدائرة الكهربية ، التى تشعل المدفع ..

« مستر (ماستون) .. ما هو شعورك بالضبط فى هذه اللحظة ؟ »

فيقول (ماستون) وهو يتحاشى عدسات الكاميرا :

ـ « حقًا لا أحب ما أفعله .. إن هناك احتمالاً لا بأس به أن أصير مسئولاً عن موت أربعة أبرياء .. »

ـ « وهل ستضغط الزرّ برغم هذا ؟ »

ـ « لا توجد فرصة أخرى .. إن القمر لايتخذ هذا الوضع الدانى إلا كل ثمانى عشرة سنة .. لابد أن نعرف .. »

وأخذ شهيقًا عميقًا ، وضغط الزرّ .. (لم يكن العد التنازلى قد اخترع) ..

بعدها حدثت فوضى على الشاشة ، وسقطت الكاميرا جانبًا ، وبعد قليل انقطع الإرسال ..

★ ★ ★

اهتزت مدينة (تامبا) بفعل الانفجار الرهيب ، وتهشمت أكثر النوافذ ، وفوق مبانيها زحفت سحابة سوداء جعلت عمل المراصد مستحيلاً ..

أما فى الكوخ فقد فَقَدَ (ماستون) وعيه بفعل الصدمة ، وسال الدم من أنفه ليغرق الأرض ..

لقد انطلق المدفع ..

أما عما حدث للكبسولة فأمر لا يعرفه أحد .. سوانا ..

★ ★ ★

حين أفاق الجميع من غشيتهم ؛ وجدوا الدماء تغمر أكثر الوجوه .. راح (آردان) ـ أقواهم ـ يساعدهم على النهوض ، ويمسح وجوههم ..

كانت (عبير) تشعر بأن ورشة حدادة تعمل هناك داخل رأسها المسكين .. ونظرت لترى أن الكلب متكوّر على نفسه يئن .. سيموت حتمًا إنها تذكر هذا الجزء من القصة على الأقل ..

قال (باربيكان) وهو ينهض على قدميه :

ـ « ماذا جرى ؟ هل انطلقنا ؟ »

ـ « أظن هذا ياسيدى .. »

اتجه إلى إحدى النوافذ وفتحها .. وعبر طبقة الزجاج السميكة استطاع أن يرى الظلام الدامس بالخارج .. كأنه ملصق أسود اللون ثبته أحدهم على الزجاج ..

ـ « هل هو قاع المحيط أم الفضاء ؟ »

وكان الجواب واضحًا .. إن النجوم ترصع السماء بالخارج ..

* * *

٧ ـ السباق مستمرّ ..

فى (انجلترا) كان (هـ . ج . ويلز) يتابع كل هذا ..

كيف يتابعه من دون أجهزة اتصال ؟ كان جالسًا فى مقعد وثير يقرأ ما كتبه (جول فيرن) واصفًا انطلاق القذيفة .. هكذا ببساطة !

جواره نار مشتعلة فى المدفأة ، وقدماه فى خف صوفى كبير ، وعلى السجادة يرقد كلبه الألزاسى الفاخر الذى يتسلى ـ (ويلز) ـ بمداعبة فرائه ..

قال فى غيظ وهو لا يفارق السطور :

ـ « النصاب الفرنسى ! إنه يزعم أن أبطاله لم يتحولوا إلى كفتة لحظة انطلاق الصاروخ ..

هذا تلفيق واضح .. إنه ببساطة لم يشر بحرف إلى صدمة التسارع التى ستحول هؤلاء إلى عجين ..

« لو كان يعرف فهو مخادع ، ولو لم يكن يعرف فهو جاهل .. »

وقلب صفحة أخرى وأضاف :

ـ « هنا يزعم أن الركاب لم يعرفوا ما إذا كانوا مسافرين أم لا .. هذا تخريف .. المفترض أنهم فقدوا وزنهم من لحظة الدفع الذاتى .. إنه يتصور أن الركاب يقفون ويتكلمون ويضغطون على قاعدة الكبسولة كما كانوا يفعلون وهى ثابتة .. بالعكس .. إن الركاب والكبسولة يتحركون بذات التسارع ، وبالتالى لم يعد لهم وزن .. إنهم ببساطة سيحلقون فى الهواء .. »

★ ★ ★

نترك الآن (ويلز) واعتراضاته العلمية ، وننتقل إلى (عبير) الأخرى التى ركبت كرة (الكافوريت) مع الفريق الإنجليزى ..

لقد انزلق (كيفور) أولاً إلى داخل الكرة الزجاجية ، وتبعه (بدفوزد) .. ثم جاء دور (عبير) .. التى وقفت مترددة برهة ، ثم توكلت على الله وتركت نفسها تنزلق فوق الزجاج الأملس إلى الداخل ..

لم تكن الكرة مريحة من الداخل كما كانت كبسولة (جول فيرن) .. إنها عملية جدًّا .. سطح زجاجى تغطى قاعه بعض الحشايا .. وكان الجو دافئًا بالداخل حقًّا ..

وخطر لـ (عبير) أن هؤلاء القوم ـ الأمريكان والإنجليز ـ تصرفوا مع الرحلة كأنها رحلة صيد فى الريف .. ارتدوا الثياب ذاتها والقبعات ذاتها ..

وحملوا عصيهم معهم . فكيف ينوون المشى على القمر بهذه الثياب الأنيقة إذن ؟

قال (كيفور) بعدما اطمأن إلى أن الجميع قد ركب :

ـ « هيا بنا .. » .

وكانت فى الأرضية كوة صغيرة هى المصدر الوحيد الذى يمدّ الكرة بالجاذبية الأرضية الآن .. مدّ يده وضغط زرًا فانغلقت النافذة وساد الظلام ..

سمعت فى الظلام صوت قرقعة ثم ..

ثم شعرت برأسها يتأرجح فوق كتفيها .. غريب هذا .. حاولت أن تنطق بكلمة ما لكن الكلمات تعثرت على شفتيها ..

أشارت إلى لسانها لتقول هذا بالضبط ، لكن شيئًا غريبًا حدث .. لقد طار جسدها وراء إصبعها ليحلق فى الهواء ، وراحت تهتزّ ثم أدركت فى هلع أنها مقلوبة الآن بالكامل ، وأنها تستكمل دورة

كاملة بلا أرض تحت قدميها .. أم هى ثابتة وكل شىء آخر مقلوب ؟

نظرت فوجدت الجميع يطير من حولها .. لم تندهش لهذه الدرجة لأنها إلى حدّ ما كانت تدرك ما عليها أن تتوقعه .. لقد كان (ويلز) دقيقًا فى هذه النقطة وجعل أبطال قصته يفقدون وزنهم فى الوقت المناسب ..

قال (كيفور) لها من مكان ما :

ـ « حاولى أن تسترخى فلا تأتى بحركات عصبية .. سوف تعتادين هذا الوضع بعد قليل .. »

حاولت أن تجعل هذه القاعدة موضع التطبيق ، وسرّها أن الأمر بدأ يغدو سهلاً .. هو أقرب إلى السباحة فى مياه هادئة ، والفارق الوحيد هنا هو أنها لا تجيد السباحة ولم تجربها قط !

بعد قليل صارت قادرة على التحكم فى جسدها .. وهو أمر ليس هينًا لأن الزفير القوى كان يقذفها

إلى الوراء مترين أو ثلاثة .. حتى تصطدم بالجدار الزجاجى الأملس ..

كان رواد الفضاء فى عالم الواقع يخضعون لتدريبات عديدة لمواجهة هذا الموقف بالذات ، أما بالنسبة لها فكان هذا هو الارتجال بعينه ..

* * *

وبدأ الشاب (بدفورد) ـ الذى كان أبرعهم فى السباحة ـ يحلق نحو إحدى الروافع الزنبركية .. وفتح النافذة الخارجية ..

عندها فقط استطاعت (عبير) أن ترى الضوء ..

وأن ترى قرص القمر ..

كان مهيبًا رائع الجمال ، وخطر لها أنها لم تره قط فى هذا الحجم إلا فى الأفلام السينمائية أو ليحلق أمامه (إى تى) .. الحقيقة هى أن الناس يتباينون فى تصورهم لقطر القمر ـ وهذه

حقيقة علمية ـ فمنهم من يصفه بأنه فى حجم الليمونة ، ومنهم من يصفه بأنه فى حجم البطيخة العملاقة .. والسبب فى هذا هو فكرة كل إنسان المسبقة عن بعد القمر عن الأرض ..

الآن تراه (عبير) عملاقًا لامعًا يخزى ضوؤه الأبصار ..

ـ « افتح نافذتين أخريين يا (بدفورد) .. »

هزّ (بدفورد) رأسه موافقًا ، وفتح المزيد من النوافذ .. الآن صارت أشعة القمر تقريبًا مؤلمة للعينين ، بحيث اضطروا جميعًا إلى إغلاق عيونهم ..

لكن الجديد فى الأمر هو أن جاذبية القمر بدأت تعمل ، وسرعان ما وجد كل واحد منهم أنه يقف على قدميه .. بالتحديد فوق النوافذ المفتوحة .. وبالتالى صار القمر عند أقدامهم ..

ـ « لا بأس .. إننا نهبط باستمرار الآن .. »

قالها (كيفور) فى رضا ، وأخرج بضع أنابيب من المعجون ورصَها رصًا على أرضية الكرة (التى كانت سقفها منذ ساعات) ، ثم دعا (عبير) كى تشاركه الطعام :

- « هل تفضلين فخذ الدجاجة أم صدرها ؟ »

نظرت (عبير) إلى المعجون البنى الكريه الذى خرج من الأنبوبة ، ليستقر على كفها ، وفى اشمئزاز قالت :

- « هل هذا معجون الفخذ أم الصدر ؟ »

- « فخذ .. »

- « إذن سآخذ الأنبوبة الأخرى .. لابد أنها الأفضل بالتأكيد ! »

وأخرج (بدفورد) ما يشبه زجاجة المياه الغازية ، لكنها مطاطية يخرج من فوهتها أنبوب مثنى .. وناولها إياها :

- « بعض الشاى سينعشك بالتأكيد .. »

الحقيقة أن ترتيب الطعام هذا لم يعد ذا ضرورة بالغة ؛ لأن جاذبية القمر أعادت الأمور إلى نصابها الآن .. لكنه يدلّ على دقة لا بأس بها من (ويلز) ..

وملأت (عبير) فمها بالمعجون والشاى البارد ، وراحت تزدرد وهى تتساءل عما حققه الآخرون من نجاح ..

★ ★ ★

وفى القذيفة المنطلقة نحو القمر ، تساءلت (عبير) :

- « لماذا لم نسمع صوت انطلاق المدفع ؟ »

قال (نيكولا) مبهور الأنفاس ، الذى بدأ يستمتع بالتجربة :

- « لأننا كنا أسرع من الصوت ، ولهذا سبقنا صوت الدوى .. »

جميل ! فكرت (عبير) .. إن التفسيرات دقيقة ، لكن (جول فيرن) لم يتنبه بعد لموضوع انعدام الوزن .. مازالت أقدام أبطاله ثابتة كالطود على أرض الكبسولة ..

لقد استغرقت الرحلة أربعة أيام .. أربعة أيام قضوها فى القراءة والكلام ولعب الورق والإطلال من النافذة ..

وكان كلب (باربيكان) البائس قد مات بعد عذاب طويل .. هذا هو شأن التاريخ على كل حال ، فهو لا يحتفظ إلا بأسماء الرابحين ، بينما ينسى اسم هذا البائس بسهولة .. لنتفق فيما بيننا إذن على أن أول كلب يجوب الفضاء كان كلب (باربيكان) وليست الكلبة السوفيتية (لايكا) ..

قال (آردان) فى لهجة عملية :

ـ « آسف لهذا ، لكن علينا الخلاص من جثة هذا الكلب .. »

هزّ (باربيكان) رأسه فى أسى ، وبدأ الرجل عملية الخلاص من المتوفى ..

استعملوا تقنية نوافذ الغواصة الشهيرة ، ففتحوا النافذة الداخلية وألقوا بالجثة ، ثم أغلقوها ، وفتحوا النافذة الخارجية ليحلق الكلب فى الفضاء .. ويتحول إلى قمر صناعى أبدى ..

★ ★ ★

هنا فقط فقد (هـ . ج . ويلز) أعصابه ، حيث جلس فى داره يطالع الرواية جوار المدفأة ..

هنا فقط نهض وطوّح بالكتاب إلى النيران لتلتهم أوراقه ، ثم صاح مخاطبًا كلبه الألزاسى النائم :

ـ « هل رأيت كل هذا التهريج ؟ إنهم يمزحون ! المفترض أن الكلب يتحرك بنفس سرعة الكبسولة .. لا أكثر ولا أقل .. ومعنى هذا أن جثة الكلب ستظل تطير جوار القذيفة طيلة مسارها .. فإذا كان (فيرن) قد أدرك هذه الحقيقة ، فلماذا جعل



وفتحوا النافذة الخارجية ليحلق الكلب فى الفضاء ..
ويتحول إلى قمر صناعى أبدى ..

الكلب يسقط أصلاً عند موته ؟ لا شىء يسقط فى هذه الكبسولة .. يجب أن يكون كل شىء فيها فى حالة انعدام وزن تامة .. »

أصدر الكلب غطيطًا من أنفه ، فقال (ويلز) :

ـ « أعرف أن موت الكلب مؤثر ، لكن الحقيقة العلمية هى الحقيقة العلمية .. »

★ ★ ★

ثم جاءت اللحظة أخيرًا ..

اللحظة التى تساوت فيها جاذبية الأرض مع جاذبية القمر ، ووجد (جول فيرن) أن الوقت قد حان لترتفع الأطباق والملاعق من فوق المائدة لتحلق فى الهواء ..

نظرت (عبير) إلى المشهد فى انبهار ، والتقطت أحد الأكواب برفق من الهواء ، وتلمسته ..

قال (باربيكان) :

ـ « هذه مرحلة انعدام الوزن التى وصفها

(نيوتن) .. لكننا واصلون إلى القمر عما قريب ، ولسوف نعرف الجاذبية الأرضية من جديد .. بل أعنى الجاذبية القمرية .. إن جاذبية القمر هى سدس جاذبية الأرض ، لأن كتلة القمر سدس كتلة الأرض .. ومعنى هذا أن من يزن على الأرض ستين كيلوجرامًا سيجد وزنه عشرة كيلوجرامات على القمر .. »

وتوقف عن الكلام لأن ضوءًا ساطعًا راح يتألق بالخارج ..

ما كان هذا القمر .. لكنه كان جسمًا تتوهج عليه انعكاسات الشمس ، ويدنو من النافذة بسرعة جهنمية ..

* * *

٨ـ أول رجال على القمر ..

فى كرة الفضاء الإنجليزية :

بدا واضحًا الآن أن نجاح الإنجليز مؤكد .. وقد استطاع أحد المراصد الأرضية العملاقة فى (بورنيو) أن يرى منظر الكرة التى تهبط ببطء فى مجال جاذبية القمر .. طبعًا مازال أمام الخبر شهران إلى أن يعرفه الناس .. إن الأخبار ـ فى هذا الزمن ـ لا تنتقل أسرع من السفن ..

وجلس الثلاثة على الأرض فوق النافذة الزجاجية ، يرمقون جار الأرض العجوز الذى امتلأ وجهه بالتجاعيد والثقوب .. كأنه عانى حالة جدرى متقدمة يومًا ما ..

وقالت (عبير) وهى ترتجف بردًا وترمق الكوكب المشوّه :

ـ « لقد كان الشعراء حمقى ! »

قال (كيفور) وهو يضع البطانية على كتفيها :

- « لابد من الابتعاد عن الشىء ليبدو جميلاً .. هذه قاعدة تنطبق على اللوحات الفنيـة والذكريات والقمر ذاته .. »

نهض (آردان) وجذب مقبضًا ، فانفتحت إحدى نوافذ السقف :

- « وهذه هى الأرض ! »

نظرت (عبير) لأعلى وارتجفت ..

هذه هى الأرض حيث ماضيها وابنتها وزوجهـا وأسرتهـا ونكرياتهـا وإحباطاتهـا و.... القـرص العملاق الذى يتوهـج بـالضوء ، والشمس تقع منه جهة الغرب فى هـذه اللحظـة بـالذات .. لذا راحت مياه المحيط تتلألأ بلون قرمزى مهيب .. واستطاعت بشـىء من الجهد أن تميز الأمريكتين وإفريقيا ، لكنها تلك الصور المشوشـة المضطربـة التى نراها فى صور القمر الصناعى ، والتى تختلف تمامًا عن خرائط كتاب الجغرافيا المحدَدة الدقيقة ..

- « أعد غلق النافذة يا (بدفورد) .. »

قالهـا (كيفـور) وقد أحس بأن المسيرة أبطأت نوعًا ..

ومن جديد لم يعد من ضياء سوى القادم مـن قاع الكرة حيث القمر ..

وشعرت (عبير) بتلك الخفة التى ألفتها مـن زمن .. إنها تتصرف وتحمـل أعضاءها ووزنهـا بالضبط كما يفعل طفل وزنه عشرة كيلوجرامات .. كل شىء سهل وسلس ، لكن الحذر ضرورى كى تتفـادى الحركـات الزائـدة .. أنت تنهض هنا علـى قدميك كمـا اعتدت على الأرض ، فقط لتجد أنك تثب إلى السقف تقريبًا .. كل شـىء هنـا يمكن إنجازه بجزء - سُدس على وجه الدقة - من الجهد الذى تحتاج إليه على الأرض ..

بعد ساعات صار القمر قريبًا جدًا ..

مئات الفوهات البركانية الفاغرة فى دهشة تنظر للكبسولة ، وكأنها تتساءل من هذا ؟ من الذى جرؤ ؟

نهض (كيفور) سريعًا ، وقد أدرك أن أخطر الأجزاء قد دنا .. صحيح أن وزنهم صار أخف ، لكن معنى هذا أنهم يهبطون على القمر كأن وزنهم مائتا كيلوجرام ولا يتجاوز الطن .. إن سقوط مائتى كيلوجرام لن يمرّ بسهولة ..

راح يركض كالملسوع يمينًا ويسارًا ،وهو يردّد :

- « رباه ! رباه ! » - وراح يفتح نافذة تلو الأخرى ..

على حين راح (بدفورد) يتلو بعض الأرقام من ورقة ، وهو يمسك بساعة إيقاف .. أدركت (عبير) أن العملية تتم حسب توقيت دقيق ..

- « الآن ! نافذة ٤ .. الآن .. أغلق ٦ .. افتح ١٧ .. »

- « رباه ! رباه ! »

كان هذا الأسلوب نوعًا من الفرملة لإبطاء هبوط المركبة السريع ، والفرملة هنا هى جاذبية الشمس الكاسحة ..

وتسللت أشعة الشمس إلى الكرة .. كانت حارقة جدًا يصعب تحاشيها حتى لو أغمضت عينيك ، وضغطت بكفيك على الجفنين .. شمس لا فرار منها إلا بالعمى ..

أبطأت الكرة ، فعاد (بدفورد) يصدر أوامره :

- « أغلق ١٧ .. افتح ٦ .. افتح ١٢ .. »

أخيرًا أدركتْ أنهم قد سقطوا فوق جبال القمر ..

أدركتْ أنهم يتدحرجون ..

أدركتْ أنها ترى الثلوج تتناثر من خلال زجاج النافذة ..

* * *

كان الظلام خارج النوافذ دامسًا ..

لا يمكنك أن تبصر أى شىء ..

البرد قارس يجمد الدماء فى العروق ، والنخاع فى العظام ..

قام (بدفورد) بتشغيل جهاز التدفئة ، ثم راح الموجودون يدورون بحثًا عن أكثر الأوضاع راحة فى هذا المكان الضيق .. يبدو أن الفئران تعانى كثيرًا فى أرجوحة الفئران ، التى تسجن فيها فى شىء مماثل ..

سألت (كيفور) وهى تنتفض :

ـ « ما كل هذا البرد ؟ »

ـ « إن الشمس لم تشرق بعد .. ومن دونها يستحيل أن نرى ما حولنا .. الظلام والضباب وبخار الماء على النافذة .. يجب أن ننتظر .. »

صمتت ، ولم تتوقع الكثير .. هى على كل حال تعرف أكثر منهما ، وقد رأت الكثير من صور

القمر هذه فى أفلام وكالة (ناسا) القديمة .. المشهد الكئيب المظلم ، يقف وسطه رائد فضاء جعلته بذلته يشبه علبة (السلامون) ، ويتحرك حركة متقطعة ، ويقول كلامًا متقطعًا لا يمكن فهمه بسبب الشوشرة الإستاتيكية التى تفسد الصوت والصورة معًا ..

حقًّا هى لا تنتظر الكثير من القمر .. ويبدو أن القمر لا ينتظر منها الكثير ..

★ ★ ★

متكورة فى ركن الكرة راحت ترمق الرجلين ..

العالم المجنون فتح فاه وراح يغط بلا انقطاع ، بينما الفتى ـ كاتب المسرحيات السابق ـ (بدفورد) يتسلى بامتصاص شىء ما من زجاجة ..

اندهشت (عبير) لأنه لم يقع فى حبها بعد .. هكذا يفعلون دائمًا .. وما كان المرء ليجد فرصة أكثر رومانسية من رحلة فى كرة إلى القمر .. القمر ذاته .. صديق العشاق والمذعوبين معًا ..

لكنها بعد ثوان فهمت السبب ، وكان قد غاب عنها .. إن (ويلز) و(فيرن) على السواء قد انهمكا فى المغامرة والتحليل العلمى إلى الأذنين .. لم يكن لديهما وقت ولا مزاج رائق يسمح بوضع عنصر أنثوى مُقحم .. لا مجال لكل ترهات الرومانسية المملة هذه ..

وتثاءبت وقالت لنفسها :

ـ « على الأقل فى عالم القصة ؛ يمكن القول إن الإنجليز هم أول من وصل إلى القمر .. لم يعد هناك شك فى هذا .. »

★ ★ ★

أشرقت الشمس .. ومعها التمعت صخور القمر ، لكن السماء ظلت حالكة السواد كما هى .. (عبير) تعرف هذه الظاهرة لكنها نسيت تفسيرها ، وتفسيرها بالطبع يعلمه القارئ لهذا لن نذكره !

ماذا ؟ لا تعرفه ؟ غريب هذا ! بالطبع لأن القمر ليس له غلاف هوائى ملىء بالجزيئات ، التى تعكس أشعة الشمس وتعطيها لونًا أزرق يعرفه كل شاعر ..

وهنا بدأ أجمل مشهد فى القصة ..

كما قلنا كانت كرة (كيفور) قد سقطت فوق الثلوج .. الآن راحت أشعة الشمس تهبط على الثلوج ، فتتحول إلى بخار على الفور ! هكذا ! أشبه بالتسامى الذى تعرفه كتب الكيمياء (التحول من الصلب إلى الغازى دون مرور بالسائل) ..

قال (كيفور) وقد فهم :

ـ « ما كان هذا جليدًا عاديًا وإلا لتحول إلى ماء .. هذا ـ ببساطة ـ هواء متجمد ! »

وخارج الكرة راح الجليد يغلى فى جنون ، والأبخرة تتصاعد بكثافة .. بينما أشعة الشمس الحارقة تمنع الجميع من فتح عيونهم ..

وهكذا ـ ببساطة ـ تحول المكان الذى وقفت عليه الكرة إلى بخار ، وراحت تتدحرج بلا كلل لأسفل .. وبداخلها ركابها التعساء ..

والآن يرون من النوافذ صخور القمر العارية .. الصخور التى كانت مغمورة بالجليد أمس ثم لم تعد .. وكلما ذابت الثلوج كلما هبطوا لأسفل أكثر ..

قال (كيفور) بعدما استقر الجميع على أقدامهم :

ـ « الآن حان الوقت لنخرج ونرى ما هنا لك .. »

* * *

٩ ـ لقاء ..

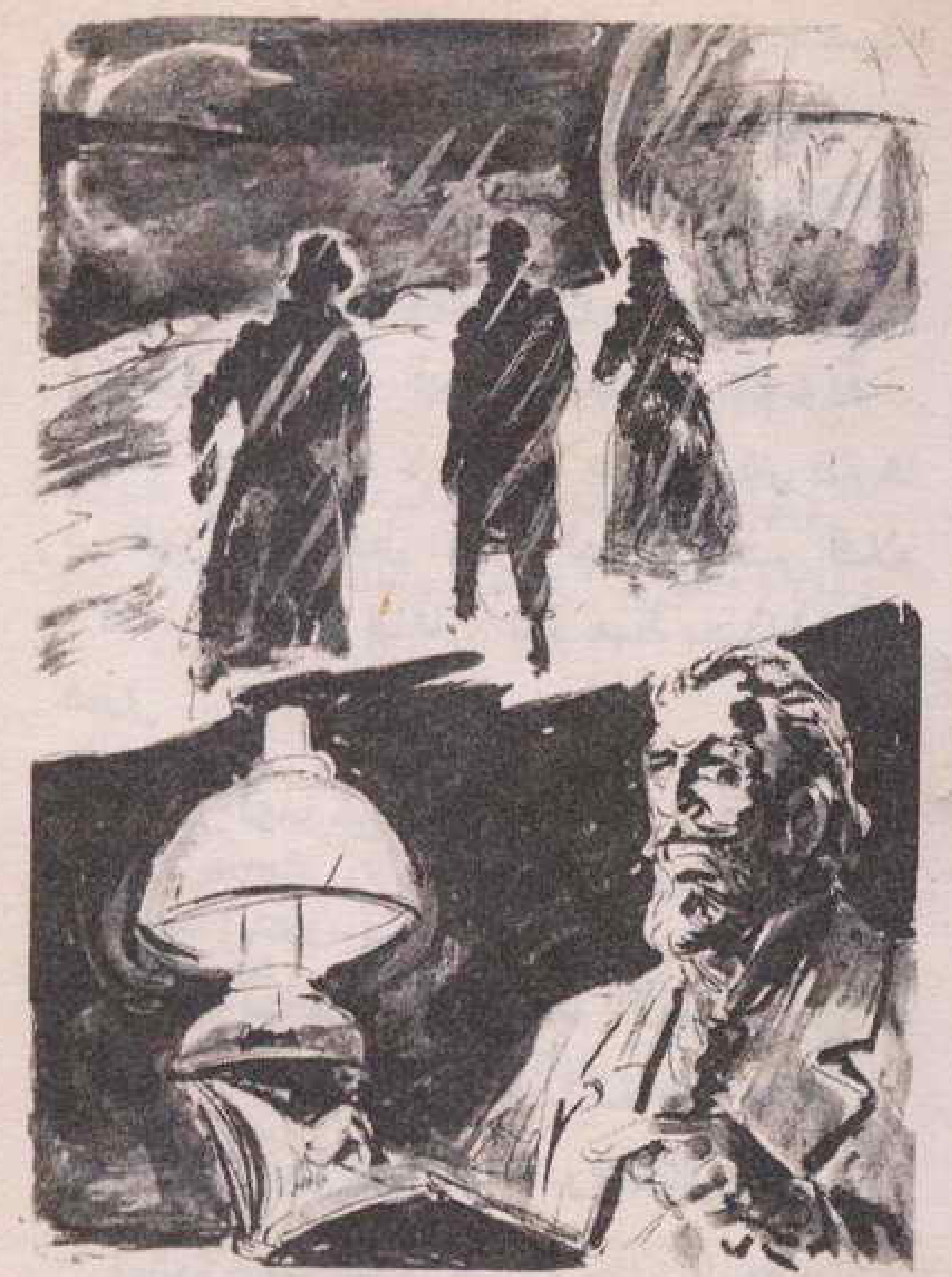
فتح (كيفور) الباب فى حذر ، وتشمم الهواء الساكن ..

ـ « يبدو أن هناك نسبة لابأس بها من الأكسجين .. »

وأشعل عودًا من الثقاب ، ومدّه إلى الخارج ، فرأت (عبير) اللهب يتوهج ويهتزّ لكنه لم ينطفئ .. كان الدليل دامغًا ..

غادر الثلاثة الكرة .. وكما اتفقوا تمامًا كان (كيفور) هو أول من يضع حذاءه الغليظ على التربة الناعمة ..

خطا بتردد ، ثم بدأت خطواته تزداد ثقة ـ كما يفعل رضيع عمره عام ونيف ـ واستدار لـ (عبير) و(بدفورد) وصاح :



- «النصاب !» .. كذا صاح (جون فيرن) وهو جالس فى مكتبه ، يطالع القصة على ضوء مصباح الكيروسين ..

- « هلما ! إنها مغامرة مأمونة ! »

★ ★ ★

- « النصاب ! »

كذا صاح (جول فيرن) وهو جالس فى مكتبه ، يطالع القصة على ضوء مصباح الكيروسين الأنيق الذى كانوا يستعملونه كأباجورة ..

غمغم وهو يفرك لحيته الرمادية كالمجنون :

- « (ويلز) النصاب كتب أن القمر له غلاف هوائى ، وبالتالى لايحتاج أبطاله إلى أقنعة أكسجين .. والأدهى أنه جعل الصوت ينتقل عبر هذا الغلاف الجوى المزعوم ..

« كنت أتوقع الأسوأ .. لكن ليس إلى هذا الحدّ ! »

★ ★ ★

بالطبع لم يعرف أبطال (ويلز) هذه الملحوظة .. لقد جعلهم (ويلز) يتنفسون ويمشون على سطح القمر ، ففعلوا .. لا حيلة لهم فى هذا ..

وأمام عينيها المبهورتين ، رأت (عبير) (كيفور) يثنى ساقيه ثم يثب فى الهواء .. ويا لها من وثبة ! لا أقل من عشرة أمتار طارها فى الهواء كما يفعل الإخوة الصينيون فى أفلام (الكونج ـ فو) إياها .. ثم هبط بعيدًا ليتناثر الغبار ..

وأشار لهما كى يلحقا به ..

أمسك (بدفورد) بكفها ، ووثب إلى الهواء وتبعته هى .. ويا لها من وثبة بدورها ! إنهما يطيران .. يحلقان .. لن يتوقفا أبدًا .. ثم ها هما ذان يهبطان .. ربما على بعد عشرة أمتار أخرى ..

استبدت بهما النشوة فراحا يحلقان كأحمقين عبر

صخور القمر وجباله ، وهما لا يكفان عن الضحك .. إننا خفيفان قويان .. إننا رشيقان كأحلام البلابل .. إننا ..

هنا دوت صيحة (كيفور) الحازمة ، ينهاهما عن مزيد من العبث ..

وثبا إلى الهضبة الرمادية التى يقف عليها ، وقال (بدفورد) ضاحكًا والنشوة مازالت تعبث برأسه :

ـ « لقد فعلناها ! فعلناها ! إن القمر لنا ! »

قال (كيفور) فى ثقة وهو يتحسس لحيته :

ـ « ما كنت أشك فى هذا .. والآن هل معك علم (يونيون جاك) ؟ »

ـ « نعم يا سيدى .. »

وأخرجه من حقيبته وناوله للعالم المتحمس ،

الذى سرعان ما غرسه ليكون بهذا علامة استعمارية واضحة .. إن القمر بما عليه قد صار من أملاك صاحبة الجلالة ..

قال (كيفور) وهو يرمق العلم بانبهار :

- « يجب أن نشعل نارًا عظيمة .. يجب أن ترانا المراصد على الأرض الآن ليكون هذا ثابتًا فى كتب التاريخ .. »

- « هذا جميل .. ولكن كيف نشعل نارًا ؟ لاتوجد حياة نباتية حولنا ..

فكر (كيفور) قليلاً ، ثم قال :

- « سنعكس أشعة الشمس بمرآة عملاقة .. إن لدينا ما يلزمنا من شرائح الفضة فى الكرة .. »

قالت (عبير) باسمة ..

- « هذه فكرة جميلة .. أنا أكره أن أكون كغراب البين يا سيدى ؛ لكنى أتمنى لو أخبرتنى أين الكرة ؟ »

نظر حوله لحظة .. حقًا هذا سؤال جيد وهو يحبّ الأسئلة الجيدة ..

- « تقولين أين الكرة ؟ »

- « نعم يا سيدى .. »

- « هل تمزحين يا آنسة (ستانويك) ؟ »

- « لا يا سيدى .. حاشا للّه أن أفعل .. »

- « ظننتك تذكرين مكانها .. ولكن .. لحظة .. »

ثم فكر بعض الوقت :

- « لحظة .. أعتقد أن الشمس كانت أمامنا طيلة الوقت و ...

- « بل خلفنا .. لقد كنا نرى ظلالنا على الأرض .. »

قال (بدفورد) وقد بدأ يشعر بالرعب :

- « أحسبنا مررنا بهذه الهضبة .. كانت على يميننا .. »

- « بل على يسارنا .. »

وبدءوا الدوران حول الهضبة وهم يدعون الله أن يكون أحدهم مصيبًا .. كانت هناك بعض آثار أقدام ، لكن لا شىء يدلّ على الاتجاه الاصلى .. ببساطة لأن ذوبان الجليد أحال الأرض التى وثبوا عليها من دقائق إلى برك موحلة .. للأسف كانوا جميعًا مخطئين ..

قالت (عبير) وهى تعض شفتها السفلى :

- « إحم .. أعتقد أن الموقف واضح .. نحن لن نجد الكرة .. »

- « تبًا ! »

قالها (كيفور) فى غيظ ، وأردف :

- نحن لم نمض ثلاثة أيام فى البحث حتى نقول هذا .. »

- « المشكلة هى أن الشمس لا تطاق ، والجوع يمزق أحشائى الآن .. »

نظر (كيفور) إلى القمر الممتد بلا نهاية أمامه .. صحراء جرداء رمادية كلها صخور وفجوات خلفتها ملايين الشهب السابقة .. شعر للمرة الأولى أنه يكره كل هذا .. إن الشعراء حمقى كما قالت (عبير) من دقائق ..

قال وهو يثب وثبة عملاقة إلى الأمام :

- « تعالوا معى .. سنحاول أن نمسح دائرة قطرها ثلاثمائة متر .. لن يكون هذا عسيرًا بقدرتنا الخارقة على الوثب .. »

ومن خلفه وثب الأرنبان العملاقان : (عبير) و (بدفورد) ..

* * *

بعد ثوان صاحت (عبير) فى مرح ؛ بينما هى ما زالت فى الهواء ..

ـ « أرى العلم يا سيدى ! علمنا .. أقصد علمكم .. »

صاح (كيفور) وهو يحاول أن يتوازن فوق جرف صخرى شامخ :

ـ « عظيم ! معنى هذا أننا دنونا جدًّا .. أين هو ؟ »

أشارت إلى الأفق نحو الغرب .. غرب القمر لو كان هناك واحد ..

وكانت الراية متدلية فى غباء بسبب عدم وجود رياح ..

واصلت خطواتها الأرنبية العملاقة إلى هذا المكان ، وتمنت لو تجد (المرشد) فى أية لحظة كى يخبرها أن المغامرة انتهت أخيرًا ..

حقًّا وجدت الهضبة مختلفة نوعًا حين دنت منها ..

وحين رفعت عينيها لأعلى ، وجدت أن الهضبة لم تكن هى على الإطلاق ..

صاحت تنادى (كيفور) :

ـ « سيدى .. هذا ليس علم صاحبة الجلالة ! »

ـ « ماذا ؟ علم من إذن بحق السماء ؟ »

ـ « إن عليه ألوانًا ثلاثة .. يبدو أن هذا علم فرنسا ! »

★ ★ ★

وخلف الهضبة وجدوها ..

الكبسولة التى صممها الأمريكان وابتكرها كاتب فرنسى .. الكبسولة التى جاءت إلى القمر عبر فوهة مدفع ، والتى لم يروها الآن لما

صدقوا لحظة أن ركابها أحياء يرزقون .. كل الحسابات الرياضية تؤكد أنهم قد تحولوا إلى كفتة منذ زمن ..

تبادل الرجلان والفتاة النظرات ، ثم مشوا بتؤدة إلى حيث كانت الكبسولة تقف .. تقف على محاور ثلاثة فى ذلك الوضع المألوف ..

وخطر لـ (عبير) أن (جول فيرن) كان معقولاً فى قصته .. إن أكثر هذه المشاهد تكررت بحذافيرها عام ١٩٦٩ ، بينما ما كتبه (هـ . ج . ويلز) أقرب إلى هلاوس الأطفال .. كرة تثب وتفرّ من الجاذبية الأرضية .. ما أسخف هذا ! وها هو ذا الدليل الحىّ ماثل أمامهم : لقد وصل الأمريكان .. ربما قبلهم أيضًا ..

من مكان ما بين الصخور ظهر (باربيكان) ومن خلفه جاء (آردان) .. ثم هبط (نيكولا) من الكبسولة .. وتصلبوا لدى مرآهم مذهولين ..

الحق أنهم كانوا يرتدون ما يشبه الصناديق الزجاجية على رءوسهم ، وعلى ظهر كل منهم كانت مضخة يبدو أنها تصنع - أو تضخ - الأكسجين ..

لم تكن معهم (عبير) الأخرى .. هذا منطقى الآن ، فقد اتحد الفريقان ولم تعد من حاجة لـ (عبير) ثانية .. إن واحدة فقط هى أكثر من اللازم بالنسبة لهذا العالم ..

صاح (باربيكان) فى ذهول من وراء قناعه :

- « إذن نجحتم ولم تهلكوا ؟ ! »

هنا شعرت (عبير) بغصة فى حلقها .. كلهم يتكلم على القمر بلا مشاكل ..

يبدو أن هذه النقطة لم تضايق أعظم كاتبى خيال علمى على الإطلاق ..

وصاح (آردان) بلهجته شبه الفرنسية :

- « وكيف تمشون من دون أكسجين ؟ »

قال (نيكولا) فى سخرية واضحة لم يفهمها (كيفور) و(بدفورد) :

ـ « سهل جدًا .. إنهم إنجليز ولا حاجة بهم لأشياء كهذه ! »

قال (كيفور) وهو يتواثب حنقًا :

ـ « كاتبكم يا سادة يلفق الأحداث تلفيقًا .. لقد كان المفترض أن تتحولوا إلى كفتة لحظة انطلاق المدفع .. »

ـ « وكاتبكم جعل هواء القمر مليئًا بالأكسجين .. »

ـ « ما كان لكم أن تكونوا هنا ! »

ـ « وما كان لكم أن تغادروا الأرض أصلاً .. »

في النهاية بدأت الأمور تهدأ والنفوس تصفو .. تصافح (باربيكان) و(كيفور) وغمز (آردان) ـ بما أنه فرنسى ـ لـ (عبير) ، وصارحها كم هى

حسناء .. على حين قال (نيكولا) لـ (بدفورد) وهو يتأبط ذراعه :

ـ « لننس الخلافات .. ما يهمنا هو أن خطوة كبرى قد تحققت اليوم لبنى الإنسان .. ليس اليوم مجال (الشوفينية) وضيق الأفق(*) .. »

قال (باربيكان) لـ (كيفور) فى حماسة :

ـ « دعنا الآن نر كرتكم هذه .. إن الفضول يغمرنى كى أراها .. »

ـ « ضاعت ! »

بلل (باربيكان) شفته السفلى بلسانه ، وقال :

ـ « رباه ! أعتقد يا سادة أنكم فى مأزق مخيف .. إن كبسولتنا لن تتحمل أية زيادة فى العدد .. »

(*) الشوفينية : الحماس الوطنى الذى قد يصل إلى التعصب العنصرى ، وينسب إلى الجندى الفرنسى المجنون (نيكولا شوفان) الذى اشتهر بتعصبه لفرنسا .

- « لا تقل إنكم تريدون تركنا هنا .. »

- « سنترككم بالفعل .. لكننا سنرسل إليكم قذيفة أخرى على الفور .. »

وفى الوقت ذاته كان (نيكولا) يحكى لـ (بدفورد) تفاصيل رحلتهم ، وكيف أن شهابًا عملاقًا كاد يصدمهم ؛ لكن جاذبية الشهاب نجحت فى أن تغير اتجاه الكبسولة لتدخل مدار القمر ..

- « فيما بعد أعدنا الحسابات عدة مرات .. كان من المستحيل أن نصل إلى القمر وكنا ببساطة سنمر بجواره لنحلق فى الفضاء إلى الأبد .. لكن الشهاب قد تدخل وأنقذنا من حيث لم نتوقع .. »

- « إن حظكم يفوق حظنا .. »

★ ★ ★

وصعد الرجال إلى الكبسولة ليروها من الداخل ، على حين وقفت (عبير) مع (كيفور) فى الخارج يرمقون الصحراء القمرية الكئيبة .. لاشىء

ينير السماء إلا الشمس المحاطة بالسواد ، وإلا النجوم التى ترصع السماء ، وإلا شهابًا يمرّ من حين لآخر ..

قالت وهى ترمق السماء :

- « لن أعتاد أبدًا هذا المشهد .. ضوء الشمس يغمر الأرض ويغمرنا ، بينما السماء ذاتها سوداء كأنه الليل المدلهمّ .. »

لم يبد (كيفور) مهتمًّا بالشاعرية .. فقط قال لها :

- « لم تعد هناك خيارات كثيرة أمامنا .. أعتقد أن علينا أن نعود إلى الأرض .. هذا واجب قومى وليس مجرد نجاة أنانية بحياتنا .. »

ونظر لأعلى ليتأكد أن الرجال داخل الكبسولة ، وقال :

- « سيقال إن الإنجليز صعدوا إلى القمر وفشلوا فى العودة ، وإن الفرنسيين أكلة الضفادع ، والأمريكيين رعاة البقر ، قد أنقذونا .. أو حاولوا ذلك لكنهم فشلوا وهلكنا نحن ! »

نظرت فى عينيه العجوزين وتساءلت :

- « فيم تفكر بالضبط يا سيدى ؟ »

- « إن كلامى واضح تمامًا .. علينا أن نستولى على هذه الكبسولة منهم ! »

★ ★ ★

١٠ - الويل للآخرين ..

قالت له وهى تتراجع للوراء :

- « بروفسور .. أنت عالم ولست قاطع طريق .. ليس بوسعنا سلب هؤلاء ثمرة اكتشافهم .. ثم لا يسعنا سلبهم حياتهم بعد ذلك .. »

قال فى إصرار وهو يعيد النظر لأعلى حيث باب الكبسولة :

- « لسنا أندادًا كى تتحدثى عنهم بهذه اللغة .. إن الفرنسيين خصومنا الطبيعيون ، والوطنية تحتم علىّ أن أفعل ذلك .. إن انجلترا أهم من أى مبدأ بشرى أرضى .. انجلترا هى المبدأ ذاته ..

« ثم إننى أراك تتكلمين بلهجة من يملك الاختيار .. أنت بلا اختيار سوى الموت هنا

جوعًا وبردًا .. الموقف من المواقف النادرة التى تتلخص فى : نحن أو هم .. »

قالت بعناد تام :

- « إن احترامك لوطنك أمر مستحب ولا بأس به .. لكن من العدل أن تترك لهم الكبسولة التى صنعوها بكثير من الجهد والعرق .. إنهم يستحقون ثمار ما بذوره من قبل .. »

نظر لها نظرة سوداء ، فأدركت أنه مجنون تمامًا الآن .. لقد استحوذت عليه الفكرة ، فلو جادلته أكثر لقتلها ودفنها فى إحدى حفر القمر ..

قال لها مبتعدًا :

- « يمكنك البقاء معهم لو أردت .. أما الآن فأنا أرجو أن تنسى ما قلته .. »

- « سأحاول .. »

وخطر لها أن قصة الخيال العلمى تنحرف إلى منعطف دموى لا تحبه كثيرًا .. « الناس لطيفو المعشر إلى أن يتهدد سلامتهم شىء .. عندئذ قد يتحولون إلى سفاحين .. » .. من قائل هذه العبارة ؟ لا تذكر .. ولا أذكر أنا أيضًا ، لكنه شخص ذكى .. وها هو ذا (كيفور) اللطيف يعيد تأكيد هذا المبدأ ..

وفى هذه اللحظة برز (نيكولا) من باب الكبسولة ، وراح ينزل درجات السلم المعدنى المثبت إليها .. لم يكن قد رأى شيئًا من هذا كله ..

كان قوى البنيان برغم قصر قامته ، وتساءلت كيف يحلم (كيفور) العجوز و(بدفورد) الناعم بهزيمة هؤلاء المحاربين القدامى ؟

دعك من (آردان) المغامر الفرنسى الذى يملك عضلات الغوريللا وشراسة الفهود ..

إن (كيفور) حتمًا غير جادّ .. أو هو يهذى ..

بعد ثوان نزل (بدفورد) متحمسًا مبهور الأنفاس ، وقال :

- « كان يجب أن ترى هذه الكبسولة من الداخل .. إنها فاخرة بحق .. كتب ومنضدة للعب الورق ، وطعام حقيقى وليس بمعجون .. »

سألته فى عدم فهم :

- « وماذا عن انعدام الوزن ؟ »

- « لا أدرى .. إنهم سعداء الحظ لأن مؤلفهم (جول فيرن) لم يهتم بهذا الموضوع ، أما مؤلفنا الإنجليزى فجعل رحلتنا شاقة بحق .. »

ثم رأت (باربيكان) و (آردان) ينزلان ..

سألت (باربيكان) الذى كان قد نزع قناع الأكسجين عديم النفع :

- « متى تنوون الرحيل ؟ »

- « بعد ساعتين من الآن .. »

- « وهل علم المراقبون فى الأرض أنكم هنا ؟ »

- « إن مرصد (بورنيو) يراقبنا من لحظة الانطلاق .. أعتقد أنه رآنا لحظة الهبوط على القمر ، لكن ما من مرصد يستطيع أن يرانا الآن .. وعلى كل حال قد أطلقنا بعض الألعاب النارية ليروها لو كان حظنا طيبًا .. »

قالت بلهجة عارضة لا توحى بشىء :

- « أقترح أن تبقوا فى الكبسولة حتى لحظة الانطلاق .. »

- « ولماذا ؟ ليس هنا لصوص على ما أظن .. »

- « لا أريدكم أن تضلوا الطريق إليها كما حدث معنا .. »

وبالطبع لم ترد الإفصاح أكثر ..

* * *

كان الشىء يمشى بتؤدة واضحة عبر الصحراء القمرية الرمادية .. يمكنك بشىء من الخيال أن تعتبره بشريًا آخر ، لكن حجم رأسه يقول لك إنك مخطئ بالتأكيد .. وكان مغمورًا بالظل ملفوفًا به مما جعل تبين الأمر عسيرًا ..

رأته (عبير) على بعد مائة متر (ترى هل رؤية المسافات على الأرض تماثل تلك على القمر ؟ تذكرْ أنه لا يوجد غلاف جوى هنا) .. وتصلبت رعبًا ، ومدت يدها فى صمت لتمسك بمعصم (آردان) الذى كان أقرب الموجودين لها ، وذلك لأنه فرنسى :

- « ما .. ما هذا ؟! »

التفت نحوها ، ثم إلى الاتجاه الذى أشارت إليه .. بالطبع لا يوجد شىء .. لقد اختفى الشبح الذى كان يمشى .. هكذا تفعل الأشباح جميعًا ..

- « ماذا يقلقك ؟ »

لم ترد أن يتهمها أحد بالهيستيريا ، فهزت رأسها تنفى أن يكون هناك ما يقلق ، وقالت شيئًا ما عن تأثير الجوع على العقل .. ثم راحت ترقب ما يقوم به الرجال ..

كانوا منهمكين فى ملء بضعة صناديق بمحتويات شديدة التنوع .. أتربة وصخور .. صخور وأتربة .. أتربة وصخور .. وكان وزنها خفيفًا للغاية طبعًا ..

أما (باربيكان) فكان واقفًا تحت الكبسولة يفحص بعناية صواريخ الإقلاع .. تلك الصواريخ التى لم تكن فى الخطة الأصلية ، وتمت إضافتها هناك بناء على اقتراحات (آردان) .. لكى يركب أحدهم هذه الكبسولة لابد من أن تكون قادرة على العودة إلى الأرض .. والصواريخ

التى تم تزويدها بها لم تكن فائقة القوة ، لكنها قادرة على الخروج من مدار القمر والتحرر من جاذبيته .. بعدها تلعب قوى القصور الذاتى ، وجاذبية الأرض الدور الباقى ..

دنت منه حيث وقف يقرع بطرف عصاه على أحد الصواريخ ، وسألته :

- « كيف تثق يا سيدى بأنك لن تهوى بالكبسولة ، لتتهشم ورفاقك إلى ألف قطعة ؟ »

- « هذا احتمال قوى يا آنسة .. لكن ثلاثة أرباع مساحة الأرض من الماء .. أى أن احتمال أن نسقط فى المحيط هو ثلاثة إلى واحد .. هذا احتمال يروق لى وإننى لأقبل المخاطرة .. »

ثم صاح مناديًا (نيكولا) و (آردان) :

- « هل انتهيتما من كل شىء ؟ يمكننا أن نرحل الآن .. »

ولها قال ناصحًا :

- « يمكنك المجىء معنا .. لقد كنت .. معنا من اللحظة الأولى .. »

- « .. وأترك (كيفور) و(بدفورد) بعدما جئت معهما ؟ لا .. شكرًا .. »

وأحست برغم كل شىء بالحسد لهم .. سينجحون فى العودة بالتأكيد .. إن القصة الأصلية تقول هذا ، ولسوف تنتشلهم بارجة حربية بالضبط كما سيحدث مع رواد الفضاء الحقيقيين عام ١٩٦٩ .. إن أبطال (جول فيرن) نجحوا فى كل شىء ماعدا الوصول إلى القمر .. هذا ماتقوله القصة ..

إنهم محظوظون بالفعل .. بعد ساعات سيرون غلافنا الجوى الحبيب ، ويرون السماء الزرقاء الصافية .. سيعودون لعالم يمكنك فيه أن تثب

فرحًا فى الهـواء ، دون أن تجد نفسك بين النجوم !

وفى هذه اللحظة ظهر (كيفور) ، وكـان قد اختفى بعض الوقت ..

هذه المـرة ظهـر .. ولـم تكن يده خاوية .. كانت قد توقعت شيئًا كهذا .. فـى يده كـان مسدس عتيق الطراز يصوّبه نحو (باربيكان) ، وعيناه على الكبسولة ..

وقال ويده ترتجف انفعالاً :

ـ « سأكون شـاكرًا يا سـادة لـو شرحتم لنـا كيف يقلع هذا الشىء .. »

تصلب الرجال ، وفكر (نيكولا) فى رفع يديه ، ثم تذكر أن أحدًا لم يطلب منه هذا .. بعد دقيقة كأنها دهر قال الرئيس (باربيكان) :

ـ « سيدى .. أرجو أن تسـاعدنى .. فإن عقلى يصوّر لى تصورات خطيرة .. »

ارتجفت يد (كيفور) أكثر ، وقال :

ـ « الأمر كما صوره عقلك بـالضبط .. لقد وصلنا إلى القمر معًا ، لكن الإنجليز فقط هم من سيعود إلى الأرض .. »

ـ « هذا منافٍ للشرف ، وقد كنت أحسبكم تقدرون الشرف .. »

ـ « إنها حرب يا سيدى ، وكل شىء جائز فى الحرب .. »

وأدركت (عبير) فى هلع أن (باربيكـان) لـن يخضع بسهولة .. و(كيفور) عالم مجنون .. عالم مجنون يحمل مسدسًا .. فما نتيجة مواجهة كهذه ؟ »

ونظرت مـن فـوق كتـف (كيفـور) لتجـد (بدفورد) يدنو ليقف وراءه ..

قال (باربيكان) فى ثبات :

- « يمكنك قتلنا يا سيدى الآن ، فنحن لن نترك الكبسولة .. »

وتحفز (آردان) متأهبًا ليثب ويضرب (كيفور) لكن يد (نيكولا) الحازمة أوقفته .. إنه مجنون مندفع ، ولن ينال سوى رصاصة فى رأسه ..

قال (كيفور) وقد ازداد موقفه سوءًا :

- « أنا لست قاتلاً .. أنا عالم فلا ترغمونى على .. »

وعلى الفور وثب (بدفورد) فوق عنقه ، وتمسكت يده الأخرى بالمسدس ليصوبه إلى الهواء ، وبالطبع انطلقت الرصاصة لتدوّى فى أرجاء القمر برغم أنف كل علماء الصوتيات ..

تقريبًا فى نفس الثانية ، كان (آردان) قد وجد فرصة عمره .. وثب وثبتين إلى حيث كان

(كيفور) فألقاه أرضًا ، وجرده من سلاحه ، ثم لكمه فى فكه ..

صاح (باربيكان) ليهدئ من حماس الفرنسى :

- « كفى يا (آردان) ! كفى ! إنه شيخ هش لا يتحمل كل هذا .. »

ونهض (بدفورد) لاهثًا ، ونظر إلى الواقفين كأنما يقول : أنا لم أضرب صديقى ومعلمى لأننى شرير .. أنتم تفهمون الموقف ..

قال (باربيكان) فى لهجة الحكماء :

- « نشكرك أى مستر (بدفورد) .. ما كنا نتوقع أن تنحاز لنا .. »

- « ثمة أشياء لا أطيقها .. من بينها مخالفة الشرف .. »

كان (آردان) متعطشًا للدماء ، لكن (كيفور)

للأسف لم يعطه الفرصة الكافية لأنه فقد الوعى على الفور .. فنهض الفرنسى يرغى ويزبد ، ولو لم يكن الرئيس موجودًا لفتك بـ (بدفورد) بدوره باعتباره انجليزيًّا ..

قالت (عبير) ، وهى تنظر إلى ما وراء هؤلاء السادة المهذبين :

ـ « أكره أن أكون كغراب البين دائمًا .. لكن .. أين ذهبت الكبسولة بالضبط ؟! »

★ ★ ★

١١ ـ ثمة شىء ما ..

مشكلة القمر هى أن الأشياء تختفى بمجرد أن تدير وجهك ..

★ ★ ★

ركض الجميع إلى حيث كانت الكبسولة تقف من دقائق ، وبالطبع لم تكن هناك .. لكن آثارها كانت واضحة على الأرض .. ما كان هذا حلمًا على الإطلاق ..

صاح (باربيكان) وهو يوشك على الإصابة بالفالج :

ـ « ما معنى هذا ؟ نحن لم نبتعد إلا أربعة أمتار .. فقط انشغلنا بالشجار وكل هذه الترهات .. »

قالت (عبير) وهى تتفقد المكان الذى كانت فيه الكبسولة الفقيدة :

- « خيل إلى للحظة أن شيئًا قد جذبها لأسفل .. لم يستغرق الأمر إلا ثانية لمحتها بطرف عينى ، وحسبت أننى أخرف .. »

ثم جثت على ركبتيها ، وقالت :

- « بالفعل .. هذه آثار فتحة .. هذه الدائرة تهبط لأسفل كالمصاعد .. فقط كانت الكبسولة تقف للأسف على تلك الدائرة ، ويبدو أن هناك من جذبها لأسفل ! »

- « لأسفل ؟! »

وتصلب الرجال مذعورين ، واتخذ كل منهم وضعًا يريه جزءًا من الثلثمائة وستين درجة .. فقالت باسمة :

- « هذا ليس غريبًا .. إن (ويلز) فى قصته الأصلية جعل شعبًا كاملاً له رءوس الأفيال يعيش فى كهوف القمر ، وكانت لديهم عجول يذبحونها ، وحضارة لا بأس بها .. »

ولم تكن تعرف المخرج الفرنسى (ميليه) أبا الخدع السينمائية ، الذى قدّم رؤيته الفريدة للرحلة إلى القمر ، وكان على القمر فرق استعراضية كاملة من الفتيات الحسناوات ! كل شىء جائز إذن ..

لكن (باربيكان) ومن معه لم يفهموا سرّ مرحها .. لقد فقدوا فى ثوان سبيلهم للعودة .. ومن ناحية أخرى بدا لهم من السخف أن يتخيلوا وجود مخلوقات تشبه الأفيال على القمر ..

قال (آردان) فى تصميم :

- «يجب أن نرى مايوجد تحت هذه القشرة .. »

وكور قبضته ، وتصلبت عضلات عنقه :

- « لو كان هناك من يمزح معنا ، فلسوف .. »

تبادل الرجال النظرات ، ثم نظر (باربيكان) إلى إحدى الفوهات البركانية على سطح القمر ، وقال :

- « لو كان هناك شىء ، فمن الممكن أن نلقى نظرة من هنا .. »

ساعد (نيكولا) (كيفور) على النهوض ، وسأله :

- « هل حقًا تستطيع الوقوف على قدميك ؟ »

هزّ هذا رأسه بمعنى أنه سيحاول ، وكان يشعر برضًا بالغ فى أعماقه .. على الأقل هم الآن (فى الهواء سواء) .. لا أحد يعود تاركًا الآخرين .. اليوم مساواة كاملة فى الظلم : لن يعود أحد ..

الآن بدأت الشمس تغيب ، وبدأ الظلام والبرد يغشيان كل شىء ، ولم يعد من مناص لديهم من محاولة اجتياز المجهول .. لن يكون هناك ما هو أسوأ من هذا ..

ولكن هل توجد حبال ؟ بالطبع لا بد من أن يحمل (آردان) حبلاً فى الجربندية التى يعلقها على كتفه ..

نظر لهم باحثًا عن شخص قوى يصلح ؛ ثم وقع اختياره فى النهاية على (نيكولا) .. إنه عجوز لكنه قصير سميك يصلح وتدًا ..

ولفّ (نيكولا) الحبل حول خصره ، وابتعد عن الفتحة .. وساعده (بدفورد) الهزيل ومعه (باربيكان) ..

وببطء بدأ (ميشيل آردان) ينزلق عبر الفوهة البركانية .. ينزلق حتى غاب رأسه .. ومرّت بضع دقائق بينما (نيكولا) يواصل إنزال الحبل

أكثر فأكثر .. و (بدفورد) و (باربيكان) يتشبثان بكتفيه بقوة كى لا ينزلق بدوره ..

قالت (عبير) فى تردد ، وهى ترمق المشهد وترتجف :

ـ « لا جدوى من كل هذا .. نحن نعرف ما سنراه مقدمًا .. مجرد حفرة عميقة لا أكثر ولا أقـ .. »

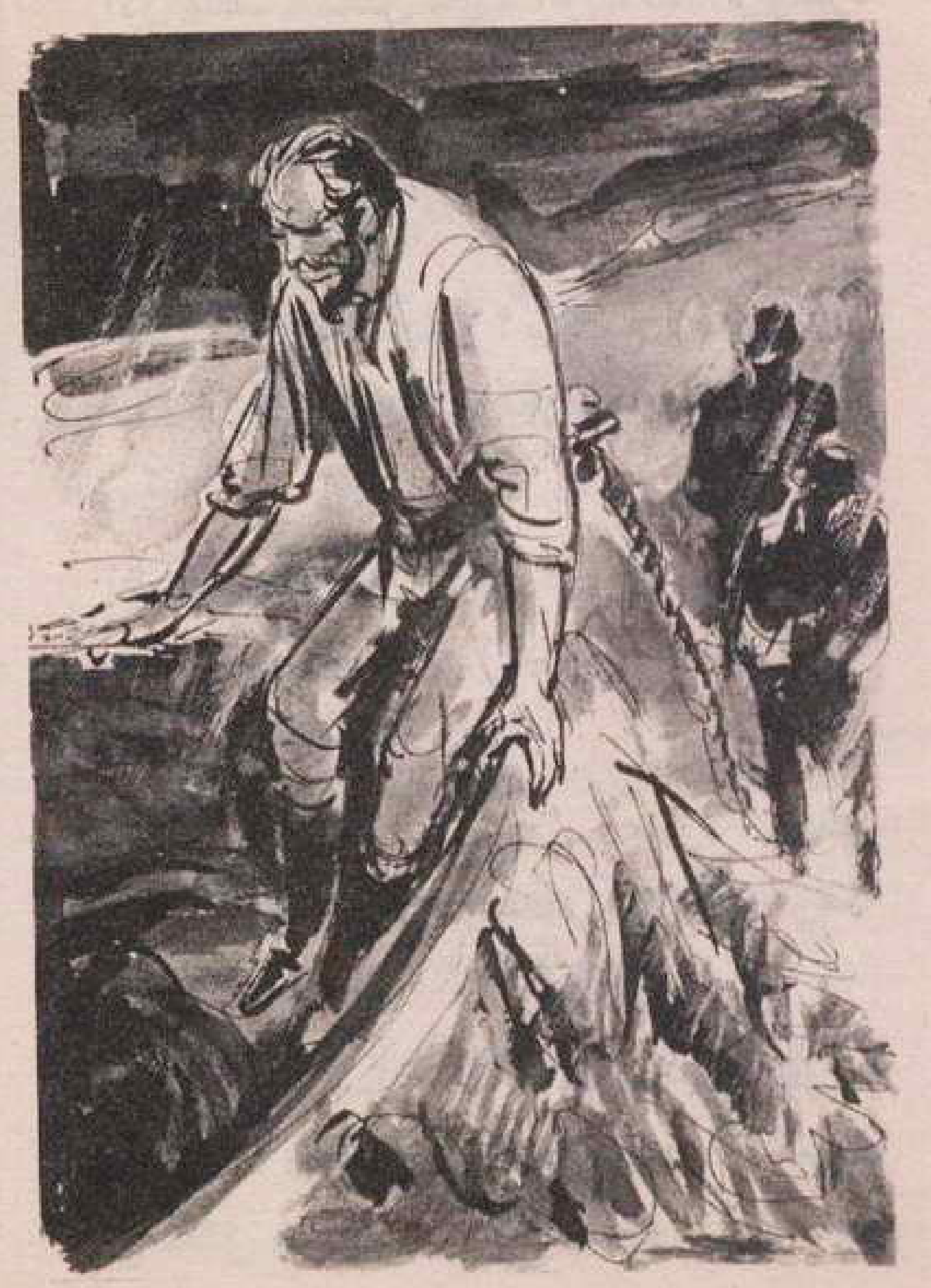
ولم تجد الوقت الكافى لحرف اللام فى (أقل) ...

فقد جاء صوت (آردان) العميق المكتوم من الداخل ، يقول فى هلع :

ـ « إن المشهد هنا لا يُصدَّق ! »

★ ★ ★

ـ « أريد شاهدًا ! »



وببطء بدأ (ميشيل آرداف) ينزلق عبر الفوهة البركانية ..

كذا صاح (آردان) من داخل الحفرة ، فأصابهم الذهول ..

- « أريد شاهدًا ! »

فدنا (باربيكان) من الحفرة ، وصاح دون أن يرى من يحدثه :

- « كيف نرسله لك ؟ هل نلقى به ؟ »

- « أنا واقف على جرف صخرى .. يمكنكم رفع الحبل ، وأنزلوا به واحدًا آخر تختارونه .. »

تأمل (نيكولا) باقى الحبل المشدود ، وقال :

- « عشرون مترًا .. وصوته مسموع .. لن يكون هذا صعبًا .. فلتهبط الآنسة فهى أخفنا وزنًا .. »

ولم يكن بحاجة إلى الإلحاح ؛ لأن (عبير) كانت متحمسة بدورها .. لو أن لديها عيبًا قويًا غالبًا فهو الفضول .. إنها ليست من أقوياء

الإرادة الذين يقفون خارج فوهة بركانية قمرية ، ويسمعون من يقول لهم إن المشهد لا يُصَدق ، وبرغم هذا يرفضون النزول ..

وتمت العملية ببساطة ..

ربطوا الحبل إلى خصرها ، وصعدت إلى الفوهة المظلمة .. حبست أنفاسها وراحت تنزلق إلى أسفل بخفة ..

طبعًا لم تكن ترى شيئًا على الإطلاق .. فى البداية فقط ..

ثم شعرت بيد قوية تمسك بمعصمها ، ووجدت نفسها تقف على حافة جرف جوار الفرنسى .. كان يمسك بكشافه الضوئى لكنه أطفأه ، وكان مبهور الأنفاس بارد الأطراف يرتجف ..

وحين نظرت لأسفل فهمت لماذا أطفأ الكشاف ..

★ ★ ★

١٢ - ميو ؟!

يا له من مشهد !

مشهد يفوق كل ما تصوره (ويلز) و (فيرن) معًا ، وما كانت الجرأة لتصل بواحد منهما إلى أن يتخيل شيئًا كهذا ، وإلا اتهمهما الناس بالجنون .. ثمة حدود يتوقف عندها الخيال وتبدأ مملكة الهلوسة ، التى تستدعى أن يأخذ الطبيب الشرعى عينة من الدماء لتحليلها بحثًا عن عقار (L.S.D) ..

كانت الأضواء فى كل مكان .. أضواء فوسفورية مبهرة ، لكنها خجول غير ميالة إلى الانتشار .. وكانت ترسم حدود مدينة غريبة .. مدينة لا قبل للمرء بها ، فيها مبان لم يتخيلها رسامو أفلام الخيال العلمى بعد ..

كانت هناك طائرات مضيئة تذكرك بالفراشات فى الليل ، وكانت هناك أجسام متحركة تذكرك بالسيارات تمشى دون ضوضاء ، كأنها تنساب .. وكأنها قطرات من سائل فوسفورى بدورها ..

ملحمة من الضياء الأخضر الوقور عند قدميهما ..

ونظرت لأعلى فرأت أشياء تذكرك بالمصاعد المتحركة ، كلها تتجه لأعلى إلى السماء .. السماء هنا هى سقف هذا العالم الغريب .. السقف الذى نراه نحن من الخارج ، ويمشى فوقه الآن (باربيكان) و(كيفور) والآخرين غير عالمين بما تحت أقدامهم ..

وكانت هناك شبكة عملاقة تبطن أكثر أجزاء هذا السقف .. وفهمت (عبير) أنها بمثابة شبكة أمان تمنع النيازك من السقوط فوق الناس ..

همس (آردان) بكلمات فرنسية لم تتبينها ، وكانت كالفحيح على كل حال .. فنظرت إلى حيث يشير ..

نعم .. إنها ترى بوضوح أحد المصاعد ، وقد هبط إلى أسفل .. إلى مستوى القاع تقريبًا ، وكانت فوقه كبسولة (باربيكان) ..

يجب أن نذكر هنا أيضًا أن كائنات ما كانت تتحرك هنا وهناك .. لم يكن المقصود بالكائنات أنها مسوخ ، ولكنها تشبه البشر إلى حدّ كبير ، لكن رءوسها أضخم نوعًا ..

همست وهى تلتصق بالجدار أكثر :

- « رباه ! »

وهمس وهو ينظر لأسفل أكثر :

- « رباه ! »

قالت له وهى تنظر لأعلى :

- « لن يصدقوا مالم يروا .. »

- « لابد أن نصعد أولاً .. فهذا الجُرف لن يتحمل سوى وزنينا .. »

ورفع عقيرته لأعلى وصاح :

- « أخرجوا الآنسة .. ثم أنزلوا لى الحبل .. »

كانت (عبير) مشغولة ، تدوّن شيئًا ما فى مفكرتها ، على الضوء الأخضر القادم من أسفل ، وقالت له دون أن تنظر إليه :

- « ألا تخشى أن يسمعك من بأسفل ؟ »

- « نعم .. إنهم على بعد سحيق .. ولكن ماذا تكتبين ؟ »

همست وهى تواصل رسم النقوش :

- « أنا أحدّ بصرًا منك ، وهذه النقوش المضيئة

على البناية هناك تبدو لى نوعًا من الكتابة .. »

وقبل أن تواصل الكلام ، ارتفع الحبل بها ..

★ ★ ★

وعلى السطح احتشد الجميع يصغون لما تقول وما يقول (آردان) .. كان الكلام أقرب إلى الهلاوس ، ولم يبد أحد على استعداد للتصديق .. لكن كان التأكد سهلاً على كل حال ..

من العسير أن تتخيل (عبير) و (آردان) نفس الشىء فى الوقت ذاته ..

وبالنسبة لـ (بدفورد) كان يعرف أن النساء هستيريات والفرنسيين حمقى .. لكن من النادر أن يجتمع أحمق مع هستيرية على رأى واحد ..

عرضت عليهم (عبير) النقوش التى نسختها ، وكان من الصعب أن يروها فى هذا الظلام الدامس .. دار كشاف (آردان) عليهم الواحد تلو الآخر كى يتفحص المكتوب بعناية .. طبعًا لم يفهم أحدهم شيئًا .. إنها زخارف أقرب إلى الكتابة البنغالية كما نعرفها اليوم ..

هنا قال (كيفور) فى تشف :

ـ « طبعًا لا تعرفون هذا لأنكم حمقى .. »

قال (باربيكان) فى برود :

ـ « أكون شاكرًا لو شرحت لنا مدى حماقتنا .. »

قال (كيفور) وقد أرضاه تمامًا أن ينتقم لكرامته المهدرة ، خاصة والدم البارد مازال يسيل من أسنانه :

ـ « هذه لغة (الناكال) .. »

- « هذا مفيد .. ولكن ما معناه ؟ »

قال (كيفور) بلهجة رجل العلم الملول :

- « نقوش (الناكال) كانت محفوظة لدى الرهبان الهندوس فى (البنغال) ، وقد رآها صديقى الإنجليزى (جيمس شيروود) ونسخ بعضًا منها .. هذا شىء لا يفهمه أمريكى أو فرنسى .. »

فى غباء سأله (بدفورد) :

- « وما هى لغة (الناكال) هذه ؟ »

- « هى لغة القارة المفقودة منذ مائة وعشرين قرنًا .. لغة قارة (ميو) ! »

★ ★ ★

صاح (باربيكان) فى غيظ :

- « هذا هراء يا (كيفور) .. هذه القارة لاوجود لها .. »

قال (كيفور) فى كبرياء وهو يخطَ شيئًا على الأرض ، التى بدأ الجليد يكسوها :

- « أنت تعرف ما يقولـه الجيولوجيون عن أن القمر هو جزء منفصل من المحيط الهادى .. قطره وتضاريسه تتطابق بشدة ، كما تتطابق قطعة من ألغاز الأطفال المسماة Jig saw ..

« الآن نجد أن القمر مسكون بالبشر - أو من يشبه البشر - وهم يستعملون لغة (الناكال) التى استعملها سكان قارة (ميو) .. ثم نذكر هنا أن قارة (ميو) كانت فى المحيط الهادى على أرجح الروايات(*) ..

« هل يفسح لنا هذا المجال لاقتراح جرىء : لم لا يكون القمر هو قارة (ميو) ذاتها ؟ ولم لا يكون سكانه هم سكان (ميو) الذين تحوروا

(★) أسطورة قارة (ميو) معروفة وحقيقية .. وكان لها رواج كبير فى القرن الماضى ..

مع الوقت ، وتعلموا كيف يعيشون فى باطن القمر ليتفادوا الشهب ؟ »

طقطق (باربيكان) معبرًا عن احتجاجه ، وقال :

ـ « عمر القمر أطول من مائة وعشرين قرنًا بكثير .. كما أن مائة وعشرين قرنًا لا تسمح بحدوث تطور داروينى .. »

ـ « ومن قال إن قصة (شيروود) حدثت فعلاً فى هذا الوقت ؟ ربما حدثت فى عهد أقدم .. فى زمن انفصال القارات .. »

كان البرد يمزقهم الآن ..

البرد والجوع والظلام .. من الغريب أن الظلام يؤلم أحيانًا ..

وكان أول من تكلم هو (بدفورد) :

ـ « ماذا عسانا نفعل الآن ؟ »

قال (باربيكان) وهو ينفض الجليد عن لحيته :

ـ « حقًا .. ماذا نفعل الآن ؟ »

★ ★ ★

وسمعت (عبير) صوت تكتكة القلم فاستدارت لتجد (المرشد) قادمًا ، وقد لفَّ كوفية صوفية حول عنقه ، وراح البخار يتصاعد من فمه ..

قالت له فى لهفة :

ـ « لم تأت قط فى وقت أفضل من هذا .. »

ـ « هذا ما ظننته .. تك تتك .. تـ .. تبًا ! لقد تجمد زنبرك القلم ! »

ـ « ما هى خطتك بالنسبة لهؤلاء السادة ؟! »

ـ « سيتولون أمورهم بأنفسهم .. أعتقد أنه لا مفرَّ لهم من الاستسلام لحضارة (ميو) هذه ..

ومن يدرى ؟ لربما لم يكن هؤلاء القوم عدوانيين مثل أهل الأرض .. لربما هم متحضرون حقًا .. »

ثم ابتسم فى سادية وهو يرمقهم يرتجفون :

ـ « إن هذا درس لهم على كل حال .. لم يكن الإنجليز ولا الفرنسيون هم أول من وصل إلى القمر .. لقد كان أهل (ميو) هم أول من وصل إليه من اللحظة الأولى لتكوينه ! بل كانوا عليه وهو ينفصل ! »

استدارت (عبير) وحيتهم مشجعة ..

كانت تدرك أن هذه (فانتازيا) ، وأن الأمر كله لعبة من ألعاب الخيال ، لكنها لم تتمالك نفسها من الشعور ببعض النذالة فى هذا المسلك ..

وقالت لـ (المرشد) وهى تلحق به فوق الثلوج :

ـ « إنهما قصتان رائعتان .. لقد كان (ويلز) و (فيرن) بارعين حقًا .. »

ـ « إنهما اثنان من السحرة .. وحين نقرأ هذه الأفكار اليوم لا ندرك حقيقة أنها كانت جديدة كل الجدّة فى عصريهما .. صحيح أن هناك محاولات سابقة مثل (ميكرو ميجاس) لـ (فولتير) وسواه .. لكن هذه أهم المحاولات الأدبية ، والمشكلة هى أن العام ١٩٦٩ جاء ، ومعه عرف الناس حقيقة القمر الكئيبة ، ولم يعد أحد مستعدًا للكلام عن أو قراءة قصص فيها عجول قمر وقذائف مدافع ..

« ويوم يصل الإنسان لمركز الأرض سينسى كل شىء عن رواية (جول فيرن) الشهيرة ، بالضبط كما أن اختراع الغواصة جعل بريق (٢٠ ألف فرسخ) يخبو كثيرًا جدًا .. »

ومن بعيد فى الأفق المظلم ، رأت كبسولة تهبط ببطء بين جبال القمر .. كانت براقة لامعة فى ضوء النجوم ، وعليها شعار ما ..

سألته والبخار يصّاعد من فمها :

ـ « ما هذا ؟ »

ـ « هذه (أبوللو ـ ١١) قادمة وعليها روادها الثلاثة .. سيكون (نيل آرمسترونج) أول رجل يضع قدمه على القمر .. فى بحر الهدوء بالذات .. ثم يكون زميله (ألدرين) الثانى .. إن القمر بعد ثوان سيكون أول مستعمرة فضائية أمريكية .. هذا هو ما حدث فى الواقع .. »

قالت دون أن تنظر للوراء :

ـ « هل تريد رأيى ؟ »

ـ « همم م ؟ »

ـ « كنت أفضل أن يكون (ميشيل آردان) هو أول رجل على القمر ! »

★ ★ ★

وفى القصة التالية ؛ نعرف أكثر عن عالم البوابات الذهبية ، والخان العظيم ، والخناجر المشرشرة ، والتنين المسحور ..

إنه عالم ساحر ، لكن لا مكان فيه للضعفاء .

★ ★ ★

[تمت بحمد اللّه]

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيـــال

روايات
مصرية للجيب

أرض .. قمر .. أرض



د. أحمد خالد توفيق

توجد طريقتان للوصول إلى القمر :
إما أن تركب فى فوهة مدفع وتدع للحظ
أن يحدد مصيرك ، وإما أن تجلس فى كرة
تقاوم الجاذبية الأرضية وتحلق لأعلى ..
لاتوجد طريقة ثالثة تعترف بها (فانتازيا)
فهل تفضل الطريقة الفرنسية أم
الإنجليزية ؟

القصة القادمة
فليدخل التنين

الثمن فى مصر ١٥٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

